



رقم الإيداع بدار الكتب
٢٠٠٥/٤٣٨٢
الترقيم الدولي I.S.B.N
٩٧٧-٤٠١-٠٠٤-٣

جميع حقوق الطبع والنشر والتوزيع
والنقل والترجمة لكتب السادة الغمارية خاصة

مكتبة القاهرة

على يوسف سليمان وأولاده

١٢ ش الصنادقية بالأزهر ت : ٥٩٠٥٩٠٩

١١ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر ت : ٥١٤٧٥٨٠

ص . ب ٩٤٦ العتبة - القاهرة - جمهورية مصر العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

هذا كتاب قد سجدت به جميعه
نور الوجوه شيعتنا يوم اللقاء
قد خضع للمولى بأقرب خلعة
لجنازة أمري كسلي راجيا
وغيري كراما إلى أتباعه
في فضل خير الخلق أكرم مرسل
هابي الخلائق للصراط الأكمل
وخباه بالخلق العظيم الأفضل
أن يقبل المهدي قبول الفضل
أقل الحديث وأهل بكر مؤذرا

الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، أحمدته تعالى وأثنى عليه وأشكره، وأستهديه سبحانه، وأستعينه واستغفره، وأشهد أن لا إله إلا هو المتفرد بالخلق والإيجاد، المنزه في ذاته وصفاته وأفعاله عن الشركاء والأنداد، وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله، وصفه وخليله، جعله نبياً وآدم منجداً في الطين، وأخذ الميثاق به على جميع النبيين، ثم بعثه ملبداً بالمعجزات الباهرات، وفضله بأنواع الخصائص والمكرمات، فشرح صدره، ورفع ذكره، وأعلى قدره، وأعظم أجره، وختم به الرسل والأنبياء، وكتب لشريعته الخلود والبقاء، إلى يوم الجزاء، صلى الله وسلم وبارك عليه، وزاده شرفاً وكرامة لديه وأعطاه من صنوف الفضل ما لا يصل أحد إليه، ورضى من آله وأصحابه، وكل من اندرج في زمرة أتباعه وأحبابه .

أما بعد :

فهذه أحاديث منتقاة، في فضائل مولانا رسول الله، خلعت بها الجناح النبوي . وأتحفت بها المحبين لقائه العلي، وجعلتها وسيلة أنال بها شفاعته يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه، ومن الحميم الوفي تقبلها الله بقبول حسن، وأنهب عنا كل كرب وهم وحزن، بفضله وجوده، إنه ذو الفضل العظيم، وصاحب الجود الواسع العميم، لا يرد من سأل . ولا يخيب من أمل، لاسيما وقد استشفعنا إليه بأكرم خليفته وأفضل بريته، سائلين منه سبحانه أن يحقق رجائنا، ويقبل دعائنا ويمحو وزرنا، ويجبر كسرنا، إنه قريب مجيب .

أبي الفضل

عبد الله الصديق النماری

١ - حديث: متى وجبت النبوة

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالوا: يا رسول الله متى وجبت لك النبوة؟ قال ﷺ { وآدم بين الروح والجسد } رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب .

قوله: متى وجبت لك النبوة، هكذا في هذه الرواية، وهي أيضاً رواية الحاكم وأبي نعيم والبيهقي، وصححها الحاكم أيضاً .

وفي رواية: متى كتبت نبياً؟ قال ﷺ { كتبت نبياً وآدم بين الروح والجسد } وهذه رواية أبي عمرو إساعيل بن نجيد في جزئه .

وفي رواية: متى كنت نبياً؟ وهي رواية يسيرة الآتية في الحديث الثاني، ومثلها رواية ابن عباس عند البزار والطبراني وأبي نعيم، ورواية ابن أبي الجهماء عند ابن سعد وابن قانع، ورواية مطرف بن عبد الله بن الشخير عند ابن سعد .

وفي رواية الشعبي أن رجلاً قال للنبي ﷺ متى استنبئت؟ قال { وآدم بين الروح والجسد، حين أخذ من الميثاق } رواها ابن سعد أيضاً، لكن الراوي عن الشعبي جابر الجعفي، وعن الصابحي قال: قال عمر: متى جعلت نبياً؟ قال ﷺ { وآدم منجدل في الطين } رواه أبو نعيم في الدلائل .

وهذه الروايات متقاربة والمراد به الإخبار بوجوب نبوته أي: ثبوتها لروحه الشريفة المخلوقة قبل الأرواح، ورواية متى كتبت؟ معنى الكتابة فيها: الوجوب والثبوت في الخارج أيضاً، فإن الكتابة تستعمل فيما هو واجب ظاهر في الخارج، نحو ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الضَّحَاةُ (البقرة: ١٨٤) .. كُتِبَ اللَّهُ لِلَّهِ لِأَعْلَيْنَ (البقرة: ٢١) .. كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ (البقرة: ١٧٨) ﴾ وحاصل المعنى: أن الله تعالى أقاض على روح نبيه الشريفة أو حقيقته "المحمدية وصف النبوة في وقت كان آدم لا يزال طريحاً على الأرض قبل نفخ الروح فيه" وإفاضة النبوة في هذا الوقت تستلزم تقدم خلقه على غيره كما هو ظاهر .

ولهذا جاء من طريق عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة عن النبي ﷺ في قوله تعالى ﴿ وَإِلَّا أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ ﴾ (الأعراب: ٧)، قال { كنت أول النبيين في الخلق

(١) وهذا ما يقبله أصحاب السير والمؤلف بقولهم: خلق نوره قبل الأضواء، لأن روحه الشريف كان موجوداً مضافاً بالنبوة قبل نفخ الروح في آدم كما تبين، والروح جسم لوراني لطيف، كما خلقه ابن القيم ومثله وكذا إذا قلنا: أن المراد خلقه فإنها أمر تقدر عقولنا من وراءه، إذ الحقائق تقدر العقول من وراءها، كما قاله الفيلسوف السفي في رسالة التعاليم والذلة .

وأخرجهم في البحث { فبدأ به فبهم، رواه ابن أبي حاتم وغيره، ورواه ابن سعد عن قتادة مرسلاً بلفظ { كنت أول الناس في الخلق وأخرجهم في البحث } .

قال المناوي في شرح الجامع الصغير ما نصه : جعله الله حقيقة تلخص عقولنا عن معرفتها وأفاض عليها وصف النبوة من ذلك الوقت، ثم لما انتهى الزمان بالاسم الباطن إلى الظاهر، ظهر بكنيته جسماً وروحاً . اهـ

وفي حديث الإسراء من رواية أبي هريرة { وجعلني فاتحاً وخاتماً { أى : فاتحاً لخلق الموجودات، وخاتماً لظهور النبوات، ولذا كان من أسمائه ﷺ (الفاتح الخاتم) وقد أجاد في تقرير هذا المعنى وإيضاحه الإمام الحافظ تقي الدين السبكي في رسالة التعظيم والمنة في { لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْقَسِرُنَّ } (آل عمران: ٨١) وهي مطبوعة في فتاويه، ونقل كلامه الحافظ السيوطي في الخصائص الكبرى، والقسطاني في المواهب اللدنية وغيرهما ..

تذييل

عرفن زكى مبارك في كتاب ((التصوف الإسلامى)) لموضوع الحقيقة المحمدية، وزعم أن الصوفية تغالوا فيها، كغالى البصاري في الحقيقة العيسوية، وتكلم على أحاديث { كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد } فزعم بطلانها، وأيد زعمه بنقل كلام الذهبي في الميزان على بعض رجال هذه الأحاديث، وكل ما أبداه خطأ فاحش، فإن الصوفية لم يتغالوا، بل ذكروا ما فهموه من الأحاديث بحسب ما ألهمهم الله، ومن عادة الذهبي أنه يصرح في ((الميزان)) ببطلان الحديث الصحيح، بل المتواتر أحياناً^(١) وهو يعلم صحته أو تواتره، ولا يقصد بطلانه إطلاقاً، ولكن يقصد بطلانه من طريق الراوى المترجم فقط، وهذه عادة كل من تكلم في الضعفاء، كإبن حبان، وإبن عدى، والعتيلي، وهذا أمر معروف لمن مارس علم الحديث، فاهتمام زكى مبارك على (الميزان) في إبطال الأحاديث المذكورة، جهل كبير لا يليق إلا بأمثاله ..

(١) المراد بالناس، النبوة، بدليل الرواية السابقة، فهو هام أريد به الخصوص
(٢) كحديث { من كذب على بئعدا } فهو حديث متواتر وقد نص على وضعه في مواضع من الميزان، في تراجم جماعة من الضعفاء والمجروحين، والمقصود : أن الأحاديث الضعيفة والموضوعة يؤخذ حكمها من الكتب الطاعة بها لا من كتب الرجال، وقد حصل في أول طلبى لهذا الشأن أنى رأيت الحافظ الدميرى ذكر في ((حياة الحيوان)) حديثاً في الأضياء التى تورث النسيان، ومنها أكل التفاح الحامض، والمشى بين امرأتين، وبين جملتين، وقراءة الكتابة على قواعد القبور .. الخ، ونص على صحته فظننته صحيحاً كما قال، ثم وجدته منصوصاً على وضعه في كتب الموضوعات، فعلمت بعد البحث أن الدميرى أراد أنه صحيح عن الراوى الذى حدث به، وأنه هو القوم بوضع ..

٢ - حديث: متى كنت نبياً

عن ميسرة العَجْرَدُ قال: قلت يا رسول الله: متى كنت نبياً؟ قال { وآدم بين الروح والجسد } رواه الإمام أحمد والبخاري في التاريخ، والطبراني والحاكم وصححه، وقال: الحافظ: سنده قوى ..

قلت: ورواه أبو الحسن بن بشران، ومن طريقه ابن الجوزي في كتاب ((الوفاء للمصطفى)) بلفظ: قلت يا رسول الله متى كنت نبياً؟ قال { لما خلق الله الأرض واستوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات وخلق العرش كتب على ساق العرش محمد رسول الله طام النبیین، وخلق الله الجنة التي أسكنها آدم وحواء فكتب أسمى على الأبواب الأوراق والقباب والطيام وآدم بين الروح والجسد، فلما أحياء الله تعالى نظر إلى العرش رأى اسمي فأخبره الله أنه سيد ولدك فلما غرهما الشيطان ثابا واستشفعا باسمي إليه { إسناد هذه الرواية قوى أيضاً ..

قوله: متى كنت نبياً، الحديث، تقدم شرح معني كونه نبياً في الحديث قبله بما لا مزيد عليه، غير إن بعض العلماء ذكر أن المراد بهذا الحديث وما في معناه: ثبوت نبوته في علم الله وتقديره، وأن المعنى: كنت نبياً في تقدير الله، وآدم بين الروح والجسد، وذلك قال في حديث { كنت أول النبيين في الخلق } أن المراد بالخلق التقدير، الإيجاد: أي كنت أولهم في التقدير ..

هذا حاصل ما ذكره، وهو باطل لوجوه:

الأول: أن نبوة النبي ﷺ ثابتة في علم الله وتقديره منذ الأزل: فتخصيصها بوقت من آدم بين الروح والجسد، لغو يجب تنزيه الحديث عنه .

الثاني: أن نبوة الأنبياء عليهم السلام، بل الموجودات كلها ثابتة في علم الله وتقديره، فلم يبقى للنبي ﷺ في هذا خصوصية على غيره، والحديث إنما أتى لبيان خصوصية، فلا بد أن يكون فيه معنى زائد لا يشاركه فيه غيره، وإلا كان الحديث من ل العبث، وذلك باطل .

الثالث: أن الصحابة الذين سأله بقولهم: متى كنت نبياً؟ كانوا يعلمون أن نبوته في علم الله وتقديره، بل كانوا يعلمون أن الأشياء كلها ثابتة في علم الله وتقديره، بالضرورة إنما أرادوا بسؤالهم قدراً زائداً على ما كانوا يعلمون

الرابع: أن عمر رضي الله عنه سأل: متى جعلت نبياً؟ وهذا اللفظ صريح في التصيير. أي متى صرت نبياً، وذلك لا يتأتى إلا في موجود، يصح اتصافه بالصفة التي صير إليها، كما تقول جعلت قطعة الذهب خائباً، أي صيرتها كذلك، وقد كانت القطعة قبل ذلك موجودة، غير أنها لم توصف بالخاتمية، إلا بعد الجعل والتصيير.

الخامس: أن وجود الأشياء في علم الله وتقديره، لا يقتصر فيها أسبقية بعضها على بعض، فلا يصح أن يقال: كنت أول النبيين في الخلق، لما يلزم عليه ما لا يليق بالله سبحانه وتعالى، وإنما تصح الأولوية في الخلق بمعنى الإيجاد، لأنه صفة فعل، يتصور معه أسبقية بعض الحوادث على بعض، كما دل عليه القرآن والسنة، فتبين من هذا بطلان ما ذكره البعض، وتعين ما ذكرناه، وهو أن الله أفاض على روح نبيه الشريفة أو على حقيقة المحمدية، وصف النبوة، وخلع عليها خلعة القرب، وآدم بين الروح والجسد، تمييزاً له على سائر المخلوقات، واصطفاه له من بين أنواع الموجودات، فهو خلاصة النوع الإنساني، وبهد الثقلين، وأبو الأنبياء عليه السلام وإلى هذا أشار ابن الغارص على لسان الحضرة المصطفوية.

واني وإن كنت ابن آدم صورة قلبي فيه معنى شاهد بأهوتي

يقصد بالمعنى الشاهد: النور الذي كان في جبين آدم عليه الصلاة والسلام، ثم انتقل إلى شيت من بعده، وهكذا على ما ثبت في كتب السيرة النبوية، والله أعلم.

قوله: وقال الحافظ سنده قوي، إذا أطلق الحافظ أو شيخ الإسلام، فالمراد به في عرف أهل الحديث: هو الحافظ ابن حجر العسقلاني، الذي كان أعجوبة الدنيا في كثرة الحفظ وسعة الإطلاع، والقدرة على الجيع بين الأحاديث المتعارضة، وكتبه ناطقة بذلك، كان يسمى أمير المؤمنين في الحديث، وهو كذلك بحق، وتوفي سنة ٨٥٢ هـ، رحمه الله ورضي عنه وأعلى قدره في عليين.

قوله: ورواه الحسين ابن بشران، اسمه علي بن محمد بن عبد الله بن بشران العدل البغدادي، أحد شيوخ البيهقي، ويروى عنه كثير في كتبه كالأسماء والصفات والسنن والدلائل وغيرها. وفي مكتبتنا من كتب ابن بشران كتاب ((الفوائد الحسان)) يشتمل على أحاديث وآثار مسندة.

قوله: { لما خلق الله الأرض } الحديث، اشتملت هذه الرواية على مسائل:

الأولى: أن الله تعالى كتب اسم نبيه على ساق العرش وأبواب الجنة وأوراقها وقبابها وحياتها إعلاماً لآدم والملائكة بمنزلته عنده، وفي ذلك من التنويه والرفعة ما لا يخفى.

الثانية: قوله: وخلق الله الجنة التي أسكنها آدم وحواء قد يؤخذ منه أنها غير جنة الخلد المعهودة، بل هي جنة خلقت لسكنى آدم وحواء، وفي ذلك خلاف طويل، ليس هذا موضع تفصيله .

الثالثة: قوله: فاخبره أنه سيد ولدك، فيه دليل على أنه سيد ولد آدم، والمراد به النوع الإنساني، فيشمل آدم أيضاً، والأحاديث بثبوت سيادته ﷺ متواترة سردها بأسانيدها شتى، الحافظ المجتهد أبو الفيلس السيد أحمد في كتاب ((تصنيف الأذان)) وهو مطبوع .

الرابعة: قوله: تايأ واستشفعا باسمي إليه، فيه دليل على جواز التوسل به من وجهين:

١ - أن النبي ﷺ حكاه وأقره .

٢ - أن الدهاء لا يختلف باختلاف الشرائع والأديان، فإذا جاز نوع منه في عهد آدم مثلاً. دل على جوازه في سائر العهود .

وهذا الحديث يقوى حديث توسل آدم الذي صححه الحاكم، وقال الذهبي أنه موضوع، والصحيح أنه ضعيف فقط، كما صرح به البيهقي في (دلائل النبوة) وهذا الكتاب قال عنه الذهبي نفسه: عليك به فكله هدى ونور، وقد بسطت الكلام عليه في كتاب ((الرد لمحكم المتن))^(١) .

قوله: وإسناد هذه الرواية قوى أيضاً. لأنه عين إسناد الرواية الأولى التي صححها الحاكم وقواها الحافظ، غير أن هذه الرواية مطولة، وتلك مختصرة، وهذا أمر معروف بين رواة الحديث، فإن الراوى تارة يكون عنده نشاط، فيذكر الحديث بتمامه، وتارة يقتصر منه على ما يرى أن الحاجة داعية إليه، وتارة يسند، وأخرى يرسل. ومن هنا كان جميع طرق الحديث والوقوف على الفاظه المتعددة^(٢) شرطاً في فهمه حق الفهم. وهذه الطريقة سلكها الحافظ في ((فتح الباري)) فكان كتابه أكمل الشروح وأوفاهها. واستعان بها على حل مشكلات الحديث استعصيت على غيره ممن سبقه، والله الموفق ..

تفصيله

قوله: وخلق العرش، هذه الجملة حالية، والمعنى: والحال أن الله خلق العرش، ويصح أن تكون معطوفة، والعطف بالواو لا يقتضي الترتيب، فلهجوز أن يعطف بها متقدم

(١) الناشر: مكتبة القاهرة

(٢) ولقد قال الإمام أبو زرعة الرازي: إذا لم نرو الحديث من عشرة طرق لم نفهم معناه

على متأخر، كما هنا، لأن العرش مخلوق قبل السموات والأرض، بدليل قوله تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ (مؤمن: ٧) وبدليل الحديث الآتي بعد صفحة، وعلى هذا فكتابة اسم النبي ﷺ على ساق العرش، كانت قبل خلق السموات والأرض، وقبل خلق الجنة التي سكنها آدم عليه السلام، بعدة لا يعلمها إلا الله تعالى، وقوله في آخر الحديث: وآدم بين الروح والجسد، يرجع إلى كتابة اسمه على أبواب الجنة وأوراقها وقبابها وخيامها، وكتابة اسمه ﷺ على ساق العرش، وهو أعظم الأجرام على الإطلاق تناسب كونه ﷺ أعظم المخلوقات كذلك .

٣- حديث: خُرجت من نكاح ولم أخرج من سقاح

عن علي عليه السلام عن النبي ﷺ قال { خُرجت من نكاح ولم أخرج من سقاح من لدن آدم إلى أن ولدتني أبي وأُمِّي لم يُصِبنِي من سقاح الجاهلية شيء } رواه الحافظ محمد بن يحيى بن أبي عمر السعدي في مسنده قال: حدثنا محمد بن جعفر قال: أشهد علي أبي يحدثني من أبيه عن جده عن علي به، وهذا مسلسل بأهل البيت النبوي الشريف^(١) ورواه أيضاً الطبراني في المعجم الأوسط وأبو نعيم في دلائل النبوة، وابن عساکر في التاريخ، وورد نحوه من حديث ابن عباس وعائشة وغيرهما .

قوله { خُرجت من نكاح ولم أخرج من سقاح } أخرج بفتح الهمزة وضم الراء مبنياً للقامل: وهكذا تلقينه عن شقيق الحافظ أبي الفيض أثناء حضورنا عليه بزاويتنا الصديقية بطنجة، فمرها الله يذكره، وهو المتجه من جهة المعنى أيضاً، فاحتمال بنائه للمجهول، كما فهم بعض الناس غلطاً، والسقاح بكسر السين الزنا، وهذا الحديث أحد الأدلة على طهارة نسبه ﷺ، وفي معناه أحاديث كثيرة من ابن عباس بالفاظ وطرق عند ابن سعد والطبراني وأبي نعيم وابن عساکر، وعن عائشة عند ابن سعد وابن عساکر، وعن أبي هريرة عند ابن عساکر، ومن أنس عند ابن مريويه وعن غيرهم، على أن طهارة نسبه الشريف لا تحتاج إلى بيان، ولا يعوزها برهان، إذ لم يتنازع فيها اثنان، فهو ﷺ الطاهر المطهر أما وأباً، الطيب المطيب أصلاً ونسباً، ومن شك في هذا فليس مسلماً، وبالله التوفيق .

(١) روى الخطيب في التاريخ عن محمد بن عبد الله بن طاهر قال: كنت واقفاً على رأس أبي، وعنده أحمد بن حنبل، وإسحق بن وهبة، وأبو الصلت الهروي، فقال أبي: ليحدثني كل رجل منكم بحديث، فقال أبو الصلت: حدثني علي بن موسى الرضا، وكان والله رهاً كما سمى، عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين قال: قال رسول الله ﷺ { الإيثار قولاً وعملاً } فقال بعضهم ما هذا إلا سواد فقال له أبي: هذا معطو المجانين، إذا سقط به المجنون يراً .

٤ - حديث: اصطفاه الله

عن وأثلة بن الأسقع قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول { أن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم } رواه مسلم والترمذي وقال: حديث صحيح هريب ..

قوله: إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، الاصطفاء معناه: الاجتباء والاختيار قال الله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ (آل عمران: ٣٣) ومن الاصطفاء نبوة ورسالة، ومنه تمييز وتفضيل وكنانة (بكسر الكاف وتخفيف القون) أحد أجداده ﷺ إذا هو ﷺ سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن هيد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن لؤي بن غالب ابن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وباقي الحديث واضح، وفيه دلالة على طهارة نسبه، وشرف أصله، وكونه خياراً من خيار ﷺ .

واستدل الشافعية بهذا الحديث على أن غير قريش من العرب ليس كفواً لهم، ولا غير بن هاشم كفواً لهم إلا بني عبد المطلب، فانهم وبني هاشم شئ واحد، كما في حديث آخر .

قوله: حديث صحيح غريب، استشكل العلماء قول الترمذي في الحديث صحيح غريب مع تنافيهما، لأن شرط الصحة أعلى من شرط الحسن كما هو معروف وأجابوا عن ذلك بعدة أجوبة أحسنها جواب الحافظ بن حجر وهو : أن الحديث إن كان له إسنادان فالجمع بينهما باعتماد الإسنادين أي حسن بإسناد وصحيح بأخر، وإن كان له إسناد واحد، فالجمع للتردد في الإسناد، هل بلغ الصحة أولاً؟ أي: حسن أو صحيح، غاية ما في الأمر: أنه حذف الواو من الأول، أو من الثاني اختصاراً .. أما الغرابة فلا تنافي الحسن ولا الصحة: بل تلاقيها كما هو معروف، وهذا حديث ((إنما الأعمال بالنيات)) صحيح قريب، وكم له من نظير والله أعلم .

فائدة: العرب هلى ست طبقات: شعب، وقبيلة، وعمارة، وبطن، وفخذ وفصيلة . قالشعب: يجمع القبائل، والقبيلة: تجمع العماثر، والعمارة: تجمع البطون، والبطن: يجمع الأفخاذ، والفخذ: تجمع الفصائل .

فمضر .. شعب رسول الله ﷺ، وكنانة قبيلته، وقريش عمارته، وقصي بطنه، وهاشم فخذ، وبني العباس فصيلة . وقيل بنو هيد المطلب، وهيد مناف بطنه، أفاده الحافظ اليعمرى في سيرته .

٥ - حديث: { إني عبد الله وخاتم النبيين }

عن العرياض بن سارية أن رسول الله ﷺ قال { إني عبدُ الله وخاتمُ النبيين وإن آدم لمنجدلٌ في طينته وسأخبركم عن ذلك دعوةُ أبي إبراهيم وبشارةُ عيسى ورؤيا أمي التي رأتُ وكذلك أمهاتُ الأنبياءِ نرى } وإنَّ أم رسول الله ﷺ رأت حين وضعته نوراً نضاً له قصور الشام حتى رأتها { رواه أحمد والبخاري والطبراني والبيهقي، وصححه ابن حبان والحاكم، وقرَّ تصحيحها الحافظ .

قوله { إني عبد الله وخاتم النبيين } .. الخ، هذا يؤيد ما قدمناه من تقدم خلق حقيقته أو روحه، واتصافها بالنبوة وآدم منجدل في الطين .

وفي رواية { إني عند الله لخاتم النبيين } .. الخ، ومعنى العندية هنا القرب المعنوي من بساط الحضرة الإلهية، أي: إني في بساط القرب وقاض على وصف خاتم النبيين وآدم لا يزال منجدلاً في الطين، أي: لا يزال جسماً مصوراً من الطين لم تنفخ فيه الروح، وفي هذا من عظم قدر نبينا وعلو منزلته ما لا يحتاج إلى بيان .

فائدة: جاء في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ قال { إن الله كتب مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء } ومن جملة ما كتب في الذكر وهو أم الكتاب أن محمداً خاتم النبيين، فهذا وجود كتابي بمعنى أن الله كتب اسمه الشريف ونعته المنيف حين كتب مقادير الأشياء في أم الكتاب .

وتم وجود سابق على هذا الوجود وهو الوجود العلمي، أي: أنه كان معلوماً لله تعالى منذ القدم، ضرورة إحاطة العلم القديم، بجميع معلومات موجودات ومعدومات .

وهذان الوجودان أعني العلمي والكتابي مجازيان، وغير خاصين بالنبي ﷺ وإنما المختص به وجود حقيقته أو روحه وجوداً خارجياً، وإفانته وصف النبوة عليه، كما سبق والله أعلم .

قوله: وسأخبركم عن ذلك، أي: سأخبركم عن تصديق ذلك، فالكلام على حذف مضاف كما تبين .

قوله: دعوة أبي إبراهيم، يشير إلى قوله تعالى حكمة عنه ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (هود: ١١٢) .

قوله: وبشارة عيسى، يشير إلى قوله تعالى على لسانه ﴿ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْقَدُ ﴾ (الف: ٦) .

قوله: ورؤيا أمي، هذه رؤية عين، وكذلك أمهات الأنبياء برين: أي: برين ما يدل على نبوة أولادهم .

قوله: وإن أم رسول الله ﷺ رأت حين وضعته نوراً أضاء له قصور الشام حتى رأتها أي: معاينة، ولا بن سعد من طريق ثور بن يزيد عن أبي العجفاء عن النبي ﷺ قال { رأت أمي حين وضعتني سطح منها نوراً أضاءت له قصور بصرى } وبصرى موضع بالشام .

ولأبي نعيم من طريق عطاء بن يسار، عن أم سلمة عن آمنة قالت ((لقد رأيت ليلة وضعته نوراً أضاءت له قصور الشام حتى رأتها))

وروى الطبراني والبيهقي وأبو نعيم وابن السكن وغيرهم عن عثمان بن أبي العاص قال: حدثتني أمي أنها شهدت ولادة النبي ﷺ، قالت: فما شئ أنظر إليه في البيت إلا نور، وإنني لأنظر إلى النجوم تدنو، حتى أني أقول لتقمن علي، فلما وضعت آمنة خرج منها نور أضاء له البيت والدار، حتى جعلت لا أرى إلا نوراً .

ثم هو ﷺ خرج من السبيل المعتاد للولادة، طاهراً نظيفاً ما به فتارة، كما ورد عن شاهده، فأبهاه بعضهم أنه خرج من موضع فوق السرة أو دونها^(١) لا أصل له، ولا دليل يزيده . والله أعلم .

وفي دعوة إبراهيم، وبشارة عيسى عليهما الصلاة والسلام، ورؤية والدته وغيرها للنور، دلالة صريحة وشهادة حق على تقدم نبوته، وسبق فضيلته -: هو ظاهر، وبالله التوفيق .

٦ - حديث: { من لقيني وهو جاحد دخل النار }

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ { أَوْخِي الله إلى موسى نبي بني إسرائيل أنه من لقيني وهو جاحدٌ بأحمدٍ أدخلته النار، قال: يا رب ومن أحمد؟ قال ﷺ: ما خلقتُ خلقاً أكرم على منه، كتبتُ اسمه مع اسمي في العرش قبل أن أخلق السموات والأرض، وأن الجنة محرمة على جميع خلقي حتى يدخلها هو وأمته، قال: ومن أمته؟ قال ﷺ: الحمانيون يَحْمَدُونَ صُغُوداً وَهُبُوطاً وعلى كل حال يَخْتَرُونَ أَوْسَاطَهُمْ وَيُطَهِّرُونَ أَطْرَافَهُمْ صَائِمُونَ بِالنَّهَارِ رَهَبَانٌ بِاللَّيْلِ أَقْبِلُ مِنْهُمْ الْيَسِيرَ وَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ بِشَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قال:

(١) وكذلك النصارى يعتقدون أن عيسى ﷺ خرج من جنب أمه، أو من موضع فوق سرتها، وذلك باطل، لا أصل له، بل هو مولود من المكان المعتاد لولادة البشر .

اجعلنى نبي تلك الأمة ! قال ﷺ: نبيها منها، قال: اجعلنى من أمة ذلك النبي ! قال ﷺ: استغنيت واستأخر ولكن سأجمع بينك وبينه فى دار الجلال { رواه أبو نعيم فى الحلية .

قوله ﷺ: من لقينى وهو جاحد بأحمد أدخلته النار، أى: من لقينى من بنى إسرائيل، قوم موسى وهو كافر بأحمد، أدخلته النار، وذلك لأن الله أخيرهم فى التوراة، وبشرهم به موسى ^(عليه السلام)، فمن جحد به بعد ذلك كان مكذباً لله ورسوله، وهو كفر، يوجب الخلود فى النار .

قوله ﷺ { ما خلقت خلقاً أكرم على منه } ^(١)، أكرم أفعل تفضيل من الكرامة، أى: ما خلقت خلقاً له من الكرامة عندى مثله، وفى هذا دليل تفضيله على الملائكة، وهو إجماع إلا ما كان من ابن حزم فإنه فضل الملائكة عليه، وإلا ما كان من الزمخشري فإنه فضل جبريل ^(عليه السلام)، وهذان قولان فى غاية الشذوذ، لا يعتبر بهم، يقابلهما فى الشذوذ قول: من فضل عوام المؤمنين على عوام الملائكة، وليس فى الملائكة عوام، بل كلهم رسل معصومون، قال الله تعالى ﴿ جَاعِلُ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا ﴾ (الطه: ١) وقال جل شأنه ﴿ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (التحريم: ٦) .

قوله ﷺ { كتبت اسمه مع اسمى فى العرش } .. الخ، أى كتبت [لا إله إلا الله محمد رسول الله] وهذا وارد فى حديث توسل آدم وغيره .

قوله ﷺ { إن الجنة محرمة على جميع خلقى } .. الخ. هذا من الخصائص التى أختصه الله بها فهو أول من يقرع باب الجنة ويدخلها، وأنته أول الأمم دخولاً الجنة، وهذه الفضيلة إنما نالتها الأمة إكراماً لنبيها ﷺ وللطبرانى فى الأوسط بإسناد حسن عن عمر ^(رضي الله عنه) أن رسول الله ﷺ قال { الجنة حرمت على الأنبياء حتى أدخلها وحرمت على الأمم حتى تدخلها أمتى } وروى أيضاً من حديث ابن عباس نحوه .

قوله ﷺ { الحمادون } صيغة مبالغة أى كثيرو الحمد. ثم فسر كثرة حمدهم بقوله: يحمدون - يفتح الياء والمهم - صعوداً إنا صعدوا جبلاً وهبوطاً إذا هبطوا وادياً، ويحمدون على كل حال من ثمة ورخاء، وهؤس ونعماء، وهذا كان حال الصحابة والتابعين والسلف الماضيين، ولا يزال موجوداً إلى الآن، وإن كان قليلاً .

(١) والخرج بن عساكر فى التاريخ عن عبد الرحمن بن غنيم عن النبي ﷺ قال { سلم على ملك ثم قال لى: لم أزل أستاذن ربي ﷺ فى لقاءك حتى كان هذا لوان أننى لى وإننى أخبرك أنه ليس أحد أكرم على الله منك } وقد شرحت هذا الحديث فى كتاب (القرائب والوجدان) .

قوله ﷺ: { يشدون أوساطهم } أى: ياتزرون على أوساطهم، ويطهرون أطرافهم
أى: يتوضأون ومقتضى هذا أن الوضوء من خصوصيات الأمة المحمدية، وفى ذلك خلاف:
صائمون بالنهار رهبان بالليل: أى: يقومون الليل وحيونه بالصلاة والعبادة .

قوله ﷺ: { أقبل منهم اليسر من العمل } أى: تيسيراً عليهم، ولا أكلفهم
بالتكاليف الشاقة، كما قال تعالى فى حق رسوله ﴿ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي
كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ (الأنعام: ٥٨٢) .

قوله ﷺ: { وأدخلهم الجنة بشهادة أن لا إله إلا الله } أى: وأن (محمد رسول
الله) لأنها قرينتها .

لما علم موسى ﷺ ببعض خصوصيات هذه الأمة، طلب أن يكون نبياً لها، فأخبره الله
تعالى أن نبيها منها، أى: مريم من ولد بن إسماعيل، وموسى إسرائيل، فطلب أن يكون من أمته
فأخبره أن وقت ظهوره متأخر عنه، ولكن وعده أن يجمع بينهما فى نار الجلال، وهى الجنة .

وفى معنى هذا الحديث ما رواه الزبير بن بكار والطبرانى من حديث ابن مسعود
ولفظه { صفته أحمد المتوكل، مولده مكة ومهاجره إلى طيبة، ليس بفظ ولا غليظ، يجزى
بالحسنة الحسنة، ولا يكافى بالسبئية، أمته الحمادون، ياتزرون على أنصافهم، وبوضئون
أطرافهم: أناجيلهم فى صدورهم. يحفون للصلاة كما يسفون للقتال، قربانهم انذى بتقربون
به إلى دماؤهم: رهبان بالليل، ليوث بالنهار } .

والأحاديث فى هذا المعنى كثيرة، كلها متضافرة على التنويه بقدر نبينا ﷺ وببيان فضله .
وفضيلة أمته بالتبعية له، وقد أشار الله تعالى إلى بعض ذلك فى سورة الفتح بقوله ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ
اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ وَهَمَلٌ بِإِئْتِهِمْ ثِرَاحُهُمْ رُكُوعاً سَاجِدًا يَهْتَفُونَ لَهُتِلَا مِنْ اللَّهِ
فَرَضَانَا سُبْحَانَهُمْ فِي وَجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ
أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَظْلَمَ فَاسْتَوَى عَلَى سَوَابِهِ يَخْشَى الزُّرَّاعَ لِيُخَيِّطَ بِهِمْ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً ﴾ (فتح: ٢٩) . والله أعلم .

٧ - حديث: أفضل الأنبياء محمد ﷺ

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ { قال لي جبريل: قُلبت مشارق الأرض ومغاريها فلم أجد رجلاً أفضل من محمد ولم أجد نبياً أب أفضل من بنى هاشم } رواه الطبراني والبيهقي وغيرهما، وقال الحافظ ابن حجر: لوائح الصحة ظاهرة على صفحات هذا المتن.

قوله { قال لي جبريل: قُلبت مشارق الأرض } .. الخ، هذا العموم لا يشمل جبريل عليه السلام وإن كان الصحيح عند الجمهور أن المخاطب - بكسر الطاء - يدخل في عموم خطابه، لقوله: فلم أجد رجلاً، والملك لا يسمى رجلاً، كما لا يسمى أنثى، وأيضاً فإنه قال: قُلبت مشارق الأرض ومغاريها، ولم يتعرض لسكان السموات الذين جبريل منهم، والحاصل: أن هذا الحديث يدل على التفضيل النبوي ﷺ على أهل الأرض، أما سكان السموات، فلا تفضيلته عليهم.

أدلة أخرى: منها الحديث رقم (١١) "ولابن عساكر عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ { ما ولدتنى بنى قط منذ خرجت من صلب آدم ولم تزل تنازعنى الأم كاهراً عن كاهر، حتى خرجت من أفضل حين من العرب هاشم وزهرة } .

قوله: لوائح الصحة ظاهرة على صفحات هذا المتن، أى: لوائح الصحة ظاهرة .. الخ، وهذه اللوائح اللوامع هى: موافقة الحديث للمتقول، ومطابقته للأصول، وإنعقاد الإجماع على مضمونه، والله أعلم.

٨ - حديث: أسماء النبي ﷺ

عن جبير بن مطعم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول { إن لي أسماء أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي: الذى يمحو الله بهي الكفر، وأنا الجاشر: الذى يُخَشِّرُ الناس على قدسي وأنا العاقب، والعاقب الذى ليس بعده نبي } رواه البخاري ومسلم.

قوله: إن لي أسماء، أى: كثرة، نقل ابن العربي فى شرح الترمذى والأحكام عن بعض الصوفية: إن لله تعالى ألف اسم، وللنبي ﷺ ألف اسم، قال الحافظ السيوطي: ألفت كتاباً فى شرح أسمائه الكريمة، أوردت فيه ثلاثمائة وأربعين اسماً مأخوذة من القرآن والأحاديث والكتب القديمة . أهـ .

(١) والحديث المار قبل هذا تحت رقم (٦) وحديث ابن عساكر الذى ذكرت تعليقات عليه ..

وسردها القسطلاني في (المواهب اللدنية) فزادت عن أربعائة ، تتبعها من كلام عياض في (الشفاء) وابن العربي في (الأحكام والقيس) وابن سيد الناس في سيرته ، والسخاوي في (القول البديع) .

قال القاضي عياض : وقد خصه الله تعالى بأن ساء من أسمائه الحسنی بنحو من ثلاثين اسماً . اهـ . وأسماءه كلها أوصاف تدل على مدحه وفضله ، ثم ذكر النبي ﷺ من أسمائه خمسة : الأول : محمد .. ومعناه : المحمود حمداً متكرراً .

الثاني : أحمد .. ومعناه : أحمد الحامدين لربه ، أي : أكثرهم حمداً ، قال القاضي عياض : كان ﷺ أحمد قبل أن يكون محمداً ، كما وقع في الوجود ، لأن تسميته أحمد وقعت في الكتب السالفة ، وتسميته محمداً وقعت في القرآن ، وذلك أنه حمد ربه قيل أن يحمده الناس . اهـ ، وذلك لأنه خلق قبلهن كما سبق ، ونحو هذا للسبيل أيضاً في (الروح الأنف) وسلمه الحافظ في اللتح : فاعترض ابن القيم عليه ، وليس بجيد .

الثالث : الماحي .. ومعناه : الذي يمحي الله به الكفر من الجزيرة العربية ، ومن سائر البلاد التي وصلت إليها دعوته وصاروا كلهم أو أغلبهم مسلمين .

الرابع : الحاشر .. وهو مفسر في الحديث : وقوله : قدمي ضبط بتخفيف الياء وكسر المهم على الأفراد ، وضبط بفتح المهم وتشديد الياء على تنثنية ، ومآل اللفظيين واحد : أي : يحشر الناس على أثر زمني ، لأنني آخر الأنبياء ليس بعدي نبي .

الخامس : العاقب .. وهو مفسر في الحديث ، ومعناه : الذي جاء في عقب الأنبياء وكان آخرهم ، فلا نبوة بعده .

ومن أسمائه ﷺ في القرآن : عهد الله ، النبي ، الرسول ، رسول الله ، البشير ، النذير ، السراج المنير ، الناصي إلى الله بآئنه ، الشاهد ، الشهيد ، النور الرؤوف ، الرحيم ، المدثر ، المزل ، خاتم النبيين ، إلى غير ذلك مما استخرجه العلماء ، ولا شك أن كثرة الأسماء ، تدل على شرف المسمى وثبالة قدره ، ومن أسماء الله التي سمي بها النبي ﷺ رؤوف ، رحيم ، نور ، شهيد ، كريم ، مهيمن .

تفصيل

ذكر الحافظ أبو نعيم وتبعه غير واحد : أن الله تعالى لم يخاطب نبيه في القرآن

باسمه المجرد، بل خاطبه بالوصف الدال على الرفعة وعلو القدر، نحو: يا أيها النبي . يا أيها الرسول، يا أيها المدثر، يا أيها المزمل، ونادى غيره من الأنبياء بأسمائهم: يا نوح . يا إبراهيم، يا داود . وهكذا، وأمرنا أن لا نناديه باسمه فقال ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ﴾ (النور: ٢٣) قال ابن عباس وغيره: لا تقولوا يا محمد، يا أبا القاسم، ولكن قولوا: يا نبي الله، يا رسول الله، انتهى باختصار .

والوهابية وأشباههم من الملحدين، يعرضون عن هدى القرآن، ويخالفون أمر الله . ويأبون إلا أن يذكره باسمه المجرد كأحاد الناس، والعجب أن الواحد منهم يسود نفسه . ويخلع عليها الأوصاف الجميلة، مع أن الله يقول ﴿ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ (النجم: ٣٢) فإذا جاء ذكر سيد الخلق بخلوا على اسمه بالسيادة التي يصفون بها أنفسهم، قاتلهم الله، ما أكثر إساءة أدبهم على الله ورسوله .



٩ - حديث: إثبات التمييز في بعض الجمادات

عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ { إِنِّي لِأَعْرِفُ حَجْرًا بِمَكَّةَ كَانَ يَسْلَمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أَهْبَثَ إِنِّي لِأَعْرِفُهُ الْآنَ }^(١) رواه مسلم في صحيحه وغيره، وللترمذي عن علي بن أبي طالب قال: كنت مع النبي ﷺ بمكة فخرجنا في بعض نواحيها فما استقبله جبل ولا شجر إلا وهو يقول: السلام عليك يا رسول الله .

قلت: قصة تسليم الحجر والشجر عليه، واردة من طرق .

قوله: { إِنِّي لِأَعْرِفُ حَجْرًا بِمَكَّةَ كَانَ يَسْلَمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أَهْبَثَ إِنِّي لِأَعْرِفُهُ الْآنَ } قال النووي: في هذا إثبات التمييز في بعض الجمادات، وهو موافق لقوله تعالى في الحجارة ﴿ وَإِنْ مِنْهَا لَمَّا يَغْطِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ (البقرة: ٧٤) وقوله تعالى ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾ (الإسراء: ٤٤) وفي هذه الآية خلاف مشهور، والصحيح أنه يسبح حقيقة ويجمل الله فيه تمييزاً بحسبه كما ذكرنا، ومنه الحجر الذي فر بثوب موسى ﷺ وكلام النراع المسمومة ومشى إحدى الشجرتين إلى الأخرى حين دعاهما النبي ﷺ، وأشباه ذلك اهـ .

(١) يسمى هذا الخارق إرهاباً، لوقوعه قبل البعثة، ومعنى الإرهاب: الإعلام، بأن من وقع له الخارق، سيكون نبياً، ويؤخذ من الحديث، إلهام الجماد بنبوة النبي قبل وقوعها، وهذا كما تتنبأ بعض الحيوانات بالزلازل قبل وقوعه .

وقال ابن العربي في الأحكام في الكلام على قوله تعالى ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾ ما لفظ المراد منه : ليس يستحيل أن يكون للجمادات فضلاً عن البهائم ثم تسيح بكلام وإن لم نفقهه نحن عنها، إذا ليس من شرط قيام الكلام بالمحل عند أهل السنة هيئة آدمية ولا وجود بلة ولا رطوبة، وإنما تكفى له الجوهرية أو الجسمية خلافاً للفلاسفة والخوانهم من القدرية الذين يرون الهيئة الآدمية، والبلة والرطوبة شرطاً في الكلام، فإذا ثبت هذا الأصل بأدلة التي تقررت في موضعه، وبأن كل هائل يعلم أن الكلام في الآسميين فرض يخلقه الله فيهم، وليس يفتر العَرَض إلا لوجود جوهر أو جسم يقوم به خاصة، وما زاد على ذلك من الشروط فإنما هي عادة .

وللباري تعالى نقض العادة، وخرقها بما شاء من قدرته لمن شاء من مخلوقاته وبريته، ولهذا حرّ الجذع لرسول الله ﷺ وسبح الحصى في كفه وكف أصحابه، وكان بمكة حجر يمسح عليه قبل أن يبعث، وكانت الصحابة تسمع تسبيح الطعام ببركته ﷺ، ولم يكن لذلك كله بنية ولا وجدت له رطوبة ولا بلة، وعلى إنكار هذه المعجزات وإبطال هذه الآيات، حامت بما ابتدعته من المقالات . أهـ .

والأحاديث التي أشار إليها هو والنورى صحيحة، والمقصود أن تسلم الحجر والشجر كما في هذا الحديث، وحديث عليّ الذي معه معجزة عظيمة : أكرم الله بها نبيه وثبت به فزاده، وقوى به حجته .

وفي مسند البزار وأبى يعلى ودلائل النبوة للبيهقي، وأبى نعيم بإسناد حسن : عن عمر بن الخطاب : أن رسول الله ﷺ كان على الحجون كنيهاً لما أذاه المشركون، فقال ﴿ اللهم أرني اليوم آية لا أبالي من كذبتني بعدها، فأمر فتادى شجرة من جانب الوادي فالتفتت تخد الأرض - تشق - خدأ حتى وقفت بين يديه " فسلمت عليه ثم أمرها فرجعت إلى موضعها، فقال : لا أبالي من كذبتني بعدها من قومي { وتعددت هذه القصة لمناسبات كثيرة، كما ورد في كثير من الأحاديث، وسنشير إلى بعضها .

وفي صحيح البخاري عن ابن مسعود قال : كنا نأكل مع النبي ﷺ ونحن نسمع تسبيح الطعام، قال العلماء : في هذا تصريح بكرامة الصحابة لسماع هذا التسبيح وفهمه، وذلك ببركته ﷺ .

(١) يسمى هذا الخارق آية تثبيت، لأنه ثبت فزاد النبي ﷺ وقوى عزمه، وكان تبشيراً له باتقيل الخلق إليه بعد ذلك، واجابتهم لدعوته .

قوله: وللترمذى عن علي عليه السلام .. الخ، رواه أيضاً الدارمى والحاكم وصححه،
وللبزار وأبى نعيم عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ { لما استقبلنى جبريل بالرسالة
جعلت لا أمر بحجر ولا شجر إلا قال: السلام عليك يا رسول الله }^(١) وسيأتى مزيد لهذا
فى الحديث الثالث عشر بحول الله تعالى .

تنبيهات

الأول: قوله فى حديث الترجمة { إنى لأعرف حجراً بمكة كان يسلم على {
اختلف فى هذا الحجر، فقليل: هو الحجر الأسود - وفيه بعد - وقيل حجر غيره بزقاق
يعرف به بمكة والناس يتبركون بلمسه، كذلك رواه الإمام أبو عبد الله ابن رشد (بضم الراء)
فى رحلته بإسناده إلى أبى حفص الميائشى، ممن لقيه بمكة من أهلها .

الثانى: سئل الحافظ السيوطى عن رجل بيده حجر بلور يقعد على الطرقات ويقول:
الأحجار سلمت على النبى ﷺ، وهذا الحجر من جنسها، فقال له رجل: كذبت، فأيهما
المخطن؟ فأجاب: ثبت من طرق صحيحة أن الأحجار سلمت على النبى ﷺ، ولكن البلور
بخصوص لم يرد فيه حديث، انتهى باختصار من كتاب (الحاروى للفتاوى) للسيوطى .

الثالث: ذكرت آنفاً أن الأحاديث التى أشار إليها الثورى وابن هري، فهما نقلته
من كلامهما صحيحة، وهى كذلك، إلا حديث تسبيح الحصى فى كفه وكف أصحابه:
فإنه حديث ضعيف، رواه البزار والطهرانى فى الأوسط وأبو نعيم والبيهقى فى الدلائل، وهو
حديث مشهور على الألسنة، متداول بين الناس، وضعفه ليس بشديد، وهو فى مثل هذا
الباب مقبول لاسيما مع تأييده بقوله تعالى ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾ (الإسراء: ٤٤)،
وبحديث تسبيح الطعام وتسليم الحجر والشجر، واقه أعلم .

١٠ - حديث: أنشق القمر

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فرقتين، فرقة فوق

(١) وروى البيهقى عن جابر بن عبد الله قال: لم يكن النبى ﷺ يمر بحجر ولا شجرة، إلا سجد له،
وهذا فى ابتداء نبوته، تثبتاً له أيضاً ..

الجبل وفرقة دونه، فقال رسول الله ﷺ { اشهدوا } رواه البخارى ومسلم، ولهذه القصة طرق عن ابن مسعود وأنس وابن عباس عند البخارى ومسلم، وعن ابن عمر عند مسلم فى صحيحه، وعن جبير بن مطعم عند أبى نعيم والبيهقى وغيرهما .

قوله: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فرقتين، لهذا الحديث ألفاظ فى الصحيحين هذا أحدهما .

ثانيهما: بينما نحن مع رسول الله ﷺ بمنى، إذ انطلق القمر فلقطين فكانت فلقة وراء الجبل وفلقة دونه، فقال لنا رسول الله ﷺ { اشهدوا } .. زاد الترمذى فى روايته: بمعنى: (اقتربت الساعة وانشق القمر) ثم قال: هذا حديث حسن صحيح، وفى رواية أبى داود الطيالسى عن ابن مسعود قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فقال كفار قريش: هذا سحر ابن أبى كبشة، قال: فقالوا انظروا ما يأتىكم به السفار فإن محمداً لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم، فقال: فجاء السفار فأخبروهم بذلك، وفى رواية البيهقى فسألوا السفار، وقد قدموا من كل وجه فقالوا: رأيناه .

وفى الصحيحين عن أنس: أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر شقين، وفى رواية مرتين، رواه الترمذى وزاد فيه: فنزلت ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ (القصص: ١) إلى قوله ﴿ بَحْرٌ مُّتَجَرٍّ ﴾ (القصص: ٢٠) يقول: ذاهب^(١)، ثم قال: هذا حديث حسن صحيح. وفى الصحيحين عن ابن عباس قال: إن القمر انشق على زمان الرسول ﷺ وفى صحيح مسلم عن ابن عمر قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فلقطين فستر الجبل فلقة وكانت فلقة فوق الجبل، فقال رسول الله ﷺ { اللهم اشهد } ورواه الترمذى بنحو مختصر، وقال حديث حسن صحيح .

وللبيهقى عنه فى قوله تعالى ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ قال: قد كلن ذلك على عهد رسول الله ﷺ انشق فلقتين، فلقة دون الجبل، وفلقة فوقه، فقال ﷺ { اشهدوا } وهذا تفسير صحابى للآية، وتقدم تفسيرها بذلك عن أنس أيضاً، ويأتى تفسيرها عن حذيفة، وكل ذلك يؤكد أن انشقاق القمر وقع معجزة للنبي ﷺ .

أما الذين أولوا الآية على معنى: سينشق القمر عند اقتراب الساعة، فهذه أمران:

١ - مخالفته لتفسير الصحابة الذين شهدوا التنزيل، وشاهدوا انشقاق القمر .

(١) أى ذاهب فى الناس، شائع بهينهم، قالوا هذه الكلمة لما سألوا المسافرين، فأخبروا أنهم رأوه منشقاً.

٦ - أن القمر لا ينشق عند قرب الساعة، بل يجمع مع الشمس ويكوران، لقوله تعالى ﴿ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴾ (الدَّهْر: ٩) ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ (التَّكْوِيْن: ١) أى: والقمر معها كما ثبت في الحديث .

وفي سنن الترمذى عن جبير بن مطعم، قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ حتى صار فلتتين، على هذا الجبل وعلى هذا الجبل، فقالوا: سحرنا محمد، فقال بعضهم: لئن كان سحرنا، ما يستطيع أن يبحر الناس كلهم، وكذا هو في مسند الإمام أحمد. وفي رواية أبى نعيم والبيهقى عنه: انشق القمر ونحن بمكة^(١)، وفي رواية أبى حذيفة الأرحبى عن على بن فضال: قال: انشق القمر ونحن مع النبي ﷺ. رواه الطحاوى في مشكل الآثار، وورد حديث الانشقاق أيضاً عن حذيفة من طريق أبى عبد الرحمن السلمى، ومسلم بن أبى عمران الأزدى، وللطبرانى والحاكم وغيرهما من طريق ابن علية عن عطاء بن السائب عن أبى عبد الرحمن، قال: خطب حذيفة بالمدائن فقال: أن الساعة قد اقتربت وإن القمر قد انشق على عهد رسول الله ﷺ، وذكر حديثاً طويلاً، ورواه ابن جرير وابن أبي حاتم أيضاً .

قال الحافظ بن عبد البر: قد روى حديث انشقاق القمر جماعة كثيرة من الصحابة وروى ذلك عنهم أمثالهم من التابعين، ثم نقله عنهم الجم الغدير إلى أن انتهى إلينا، وتأييد بالآية الكريمة، اهـ .

وقال العلامة تاج الدين ابن السبكي في شرحه المختصر ابن الحاجب: والصحيح عندي أن انشقاق القمر متواتر منصوص عليه في القرآن مروي في الصحيحين وغيرهما، من طرق من حديث شعبة عن سليمان عن إبراهيم عن أبى معمر عن ابن مسعود ثم قال: وله طرق شتى بحيث لا يمتري في نواتره، اهـ .

وقال القاضى عياض في الشفاء: قال الله تعالى ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ * وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا بَحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ﴾ (السر: ٢) أخبر تعالى بوقوع انشقاق القمر بلفظ الماضى وامراض الكفرة عن آياته وأجمع أهل السنة والمفسرون على وقوعه، اهـ .

ثم ذكر بعض الطرق، وأجاب عن اعتراض بعض المبتدعة فأجاد، وقال في الشفاء أيضاً: أما انشقاق القمر فالقرآن نص بوقوعه، وأخبر عن وجوده، ولا يعدل عن ظاهره إلا بدليل، وجاء برفع احتمال صحیح الأخبار من طرق كثيرة، فلا يوهن عزمنا خلاف آخرق

(١) جبير بن مطعم، شاهد انشقاق القمر بمكة وهو مشرك، ثم أسلم بعد ذلك وأخبر بما شاهده .

منحل يرى الدين ولا يلتفت إلى سخافة مبتدع يلقي الشك على قلوب ضعفاء المؤمنين، بل نرغم بهذا أنفسه، وننبذ بالمرء سخفه، اهـ .

وقال الإمام الخطابي: انشقاق القمر آية عظيمة لا يكاد يعدلها شيء من آيات الأنبياء، وذلك أنه ظهر في ملكوت السموات خارجاً عن جملة طباع ما في هذا العالم المركب من الطبائع، فليس فيها يطمع في الوصول إليه بحيلة فلذلك صار البرهان به أظهر، اهـ .

وقال الإمام النووي في شرح مسلم: قال القاضي - يعني هياضاً في شرح مسلم أيضاً - انشقاق القمر من أميات معجزات النبي ﷺ، وقد رواها عدة من الصحابة رضي الله عنهم مع ظاهر الآية الكريمة وسياقها، قال الزجاج في كتاب (معاني القرآن) وقد أنكرها بعض المبتدعة المضاهين لمخالفي الملة، وذلك لما أسمى الله قلبه، ولا إنكار للمقتل فيها، لأن القمر مخلوق لله تعالى يفعل فيه ما يشاء، كما يفنيه ويكرره في آخر أمره، وأما قول بعض الملاحدة لو وقع هذا لنقل متواتراً واشترك أهل الأرض كلهم في معرفته، ولم يختص به أهل مكة، فأجاب العلماء بأن هذا الانشقاق حصل في الليل، ومعظم الناس نيام غافلون، والابواب مغلقة وهم منغطون في ثيابهم .

نقل: من يتفكر في السماء أو ينظر إليها إلا الشاذ الفادر، ومما هو مشاهد معتاد أن كسوف القمر وغيرد من العجائب، والأنوار الطوالع والسبب العظيم: وغير ذلك مما يحدث في السماء في الليل يقع ولا يتحدث بها إلا الآحاد، ولا علم عند غيرهم كما ذكرنا. وكان هذا الانشقاق آية حصلت في الليل، لقوم سألوها واقترحوا رؤيتها فلم يتنبه غيرهم لها .

وقالوا: قد يكون القمر حينئذ في بعض المجاري والمنازل التي تظهر لبعض الأفاق دون بعض، كما يكون ظاهراً لقوم غائباً عن قوم، كما يجد الكسوف أهل بلد دون بلد والله أعلم، اهـ^(١). وبقيّة الأجوبة مبسطة بإيضاح في الشفاء والمواهب وشروحهما .

وقال الحافظ العراقي في (ألفية السيرة) وانشق مرتين بالإجماع، قال الحافظ ابن حجر: قوله بالإجماع متعلق بانشق لا بمرتين، فإني لا أعلم من جزم بتعدد الانشقاق، قال

(١) من اللطائف في هذا الباب أن أبا بكر الباقلائي، لما أرسله صاحب الدولة إلى ملك الروم بالقسطنطينية (القسطنطينية) وعلم ملك الروم أن هذا أجلّ علماء المسلمين، أحضر بعض بطاركة لهناظره، فقال له: تزعمون أن القمر انشق لتبيكم. فهل للقمر قرابة منكم حتى ترونه دون غيركم؟ فقال له: وهل بينكم وبين المائدة أخوة أو نسب، إذ رأيتموها ولم تراها اليهود والنصارى والذين أنكروها وهم في جواركم؟ فانقطع ولم يحرج جواباً .

ولعل قائل مرتين - أى : كما فى بعض الروايات - أراد فرقتين ، وهذا الذى لا ينتجه غيره
جمعاً بين الروايتين .

تنبيهات

الأول: فى ضبط ألفاظ الحديث، قوله: شقين، هو بكسر الشين، وكذلك فلقنتهن وفرقتين، ومعناها واحد أى: صار قطعتين متباينتين، بحيث رأى الجبل بينهما، والسفار - بضم السين وفتح الفاء المشددة - جمع سافر، وهم القوم المسافرون، وبقيّة ألفاظ الحديث واضحة .

الثانى: ما يذكره بعض القصاص واشتهر بين كثير من العوام من أن القمر دخل فى جيب النبى ﷺ وخرج من كفه، ليس له أصل كما نقله بدر الدين الزركشى عن شيخه الحافظ ابن كثير، ووافقه غير واحد، وسئل الإمام النووى رحمه الله عن رجلين تنازعا فى انشقاق القمر على عهد رسول الله ﷺ، فقال أحدهما: انشق فرقتين، دخلت إحدهما فى كفه، وخرجت من الكف الآخر، وقال الآخر: بل نزل إلى بين يديه فرقتين، ولم يدخل كفه، فأجاب: الاثنان مخطئان، بل الصواب: أنه انشق وهو فى موضعه من السماء، وظهرت منه إحدى الشقين فوق الجبل، والأخرى دونه، هكذا ثبت فى الصحيحين من رواية مسعود بن عبد الله .

قلت: كوكب القمر مساحته مثل مساحة الكرة الأرضية، فمن المحال عقلاً أن تدخل شقة منه فى كم النبى ﷺ أو تنزل بين يديه .

الثالث: شاهد انشقاق القمر فى الليلة التى وقع فيها ملك بهوبال من الهند^(١) واسمه بهوج بال، ذكره الفرشت^(٢) فى تاريخه، ونقله العلامة المحدث محمد أنور الكشميرى فى فوهى البارى فى شرح صحيح البخارى، وجاء فى السنة الأولى من مجلة (الإنسان ص ١٥٠ . ١٥١ من العدد الصادر فى ٣٠ شوال سنة ١٣٠١ هـ) تحت عنوان (انشقاق القمر) ما لفظه : أخبر بعض السواحين الجائلين فى بلاد الصين، أنه يوجد معبد عظيم فى إحدى مدائن هذه المملكة مكتوب على بابه : أنه قد تم بناؤه فى تاريخ كذا، وأنه فى ليلة تمام البناء شاهد الجميع انشقاق القمر نصفين، فى وسط السماء، وبالتحقيقات التى أجراها فى ذلك التاريخ وجد

(١) وشاهده أيضاً جماعة كثيرة من بلاد مختلفة، كما ذكره الحافظ بن كثير فى تاريخه .
(٢) الفرشت: لقب المؤلف، واسمه: الحكيم محمد قاسم البهجاورى، وتاريخه فى أربعة أجزاء، كتب بالفارسية، وترجم إلى الأوربية، ألله لإبراهيم عادل شاه، ملك بهجاور، وكان شيعياً، فرغ من تأليفه سنة ١٠١٥ هـ كذا فى لزهة الخواطر ج ٥ ص ٢٨٥ .

أن تلك الليلة كانت موافقة لليلة التي انشق فيها القمر بإشارته ﷺ، فمن يوصلنا إلى زيادة إيضاح في هذه الآية الكبرى أعددنا له المكافأة شكرانا لا ينقطع مدى الدهر. اهـ^١

الرابع: ورد أن الشمس ردت على النبي ﷺ فروى الطحاوي في (مشكل الآثار) من طريقين^٢ عن أسماء بنت عميس قالت: كان النبي ﷺ يوحى إليه ورأسه في حجر علي، فلم يصل العصر، حتى غربت الشمس، فقال رسول الله ﷺ {أصليت يا علي} فقال: لا، فقال رسول الله ﷺ {اللهم إن كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس} قالت أسماء: فرأيتهما غربتا ثم رأيتهما طلعتا بعد ما غربتا ووقعت على الجبال والأرض، وذلك في الصبأ، بخيبر.

قال الطحاوي: هذان الحديثان ثابتان، ورواتهما ثقات، ونقل عن الإمام أحمد بن صالح المصري، أنه كان يقول: لا ينبغي لمن سبيله العلم التخلف عن حفظ حديث أسماء، لأنه من علامات النبوة. اهـ. ووافق الطحاوي على تصحيحه أيضاً القاضي عياض في الشفاء، ورواه الطبراني في الكبير^٣ بإسناد حسن كما نص عليه الحافظ أبو زرعة ابن

(١) انظر المجلد الأول من مجلة الإنسان بدار الكتب تحت رقم ٨٧٣ دوريات.

(٢) قال في الطريق الأول: حدثنا أبو أمية ثنا عبيد الله بن موسى العباسي ثنا فضيل بن مرزوق عن إبراهيم بن الحسن عن فاطمة بنت الحسين عن أسماء بنت عميس: وقال في الطريق الآخر حدثنا علي بن عبد الرحمن بن محمد بن المغيرة ثنا أحمد بن صالح - هو المصري الحافظ المشهور - ثنا ابن أبي فديك حدثني محمد ابن موسى عن هون بن محمد عن أم جعفر عن أسماء بنت عميس ع.

(٣) قال حدثنا جعفر بن أحمد بن سنان الواسطي ثنا هلي بن المنذر ثنا محمد بن فضيل ثنا فضيل بن مرزوق عن إبراهيم بن الحسن عن فاطمة بنت علي عن أسماء بنت عميس، وهذا الحافظ في الفتح إلى الحاكم والبيهقي أيضاً، ونص كلامه: وروى الطحاوي والطبراني في الكبير والحاكم والبيهقي في الدلائل عن أسماء بنت عميس أنه ﷺ دعا لما نام على ركة على فمائه صلاة العصر، فردت الشمس حتى صلى على ثم غربت، وهذا أبلغ في المعجزة. وقد أخذ ابن الجوزي بإبراهه في (الموضوعات) وكذا ابن تيمية في كتاب (الرد على الروافض) في زعم وضعه. والله أعلم اهـ بلفظه.. وقال الحافظ أبو بشر الدولابي في كتاب (الذرية الطاهرة) حدثني اسحق بن يونس ثنا سويد بن سعيد عن المطلب بن زياد عن إبراهيم بن حبان عن عبد الله بن الحسين عن فاطمة بنت الحسين عن الحسين بن علي ع قال: كان رأس رسول الله ﷺ في حجر علي، وكان يوحى إليه، فلما سري عنه قال لي {يا علي صليت العصر؟} فقلت: لا، قال {اللهم إنك تعلم أنه كان في حاجتك وحاجة رسولك فرد عليه الشمس} فردها عليه، فصلى فذهبت الشمس، قال العلامة المحدث أبو عبد الله محمد بن يوسف الدمشقي الصالح في جزء (مزيل اللبس عن حديث رد الشمس): أعلم أن هذا الحديث رواه الطحاوي في كتاب (شرح مشكل الآثار)، وعن أسماء بنت عميس من طريقين، وقال: هذان الحديثان ثابتان، ورواتهما ثقات، ونقله القاضي عياض في (الشفاء) والحافظ ابن سيد الناس في (بشرى اللبيب) والحافظ علاء الدين مغلطاي في كتاب (الزهر الباسم) وصححه الحافظ أبو الفتح الأزدي، وحسنه الحافظ أبو زرعة ابن العراقي. وشيخنا الحافظ جلال

المراقى فى (شرح التفریب) أما ابن الجوزى فذكره فى الموضوعات، وتبعه ابن تيمية فحكم بوضعه أيضا فى رده على الروافض لأجل ذكر على فيه، ولو ذكر أبو بكر أو عمر بدله، كان أول المصححين له بكل قواه^(١).

وانحراف ابن تيمية عن على وأهل البيت معروف، وحتى حكم عليه بالنفاق لأجل ذلك^(٢).

الدين السيوطى فى (الدرر المنتثرة فى الأحاديث المشتهرة) وقال الحافظ أحمد بن صالح: وناهيك به: لا ينهى لن سبيله العلم، التخلف عن حديث أسماء، لأنه من أصل علامات النبوة، وقد أنكر الحافظ على ابن الجوزى إيراده الحديث فى (الموضوعات)، فقال الحافظ أبو الفضل ابن حجر فى باب قول النبى ﷺ أحلت لكم الغنائم من (فتح البارى)، بعد أن أورد الحديث: أخطأ ابن الجوزى بإيراده فى (الموضوعات) - اء ثم قال: أن هذا الحديث ورد من طريق أسماء بنت عميس، وعلى، وإبنة الحسين، وأبى سعيد الخدرى، وأبى هريرة رضى الله عنهم ثم أوردها، وتكلم على أساندها ثم قال: قد علمت مما أسلفناه من حكم الحفاظ فى هذا الحديث، وتبين حال رجاله أنه ليس فيه منهم ولا من أجمع على تركه، ولا لك ثبوت الحديث وعدم بطلانه، ولم يبق إلا الجواب عما أهل به، وقد أهل به بأمور، فنذكرها وأجلب عنها بأجوبة شافية، وكذا فى كتاب (الأمل لأيقاظ الهمم) للعلامة المحقق الشيخ إبراهيم الكورائى، قلت: حسن الحافظ السيوطى حديث أسماء فى لأواخر الدرر المنتثرة، وعزاه فى (الخصائص الكبرى) لابن شاهين، وابن منده، والطبرانى، وقال: بعض أسانده على شرط الصحيح، وعزاه حديث أبى هريرة لابن مريوة، وذكر فى (الآل المصنوعة) جزء لبعض المتقدمين فى طرق هذا الحديث، لأورده بتمامه، فليراجع هناك، بل للحافظ السيوطى نفسه جزء (كشف اللبس عن حديث رد الشمس) وذكر الذهبى فى ترجمة الحافظ الحسكافى أن له مجلسا - معنى مجلس إملاء - فى تصحيح حديث رد الشمس لعلى، ما يدل على تشييعه وخبرته بالحديث. من ٣٦٨ ج ٣ تذكرة الحفاظ، طبعة ثانية بحيدر أباد، ولا تنسى أن الذهبى شامى. من تلاميذ ابن تيمية وأنظر كتاب (تنزيه الشريعة المرفوعة) لابن عراق.

(١) وقعت مناظرة فى هذا الحديث بين أبى حنيفة، ومحمد بن على ابن النعمان، حيث سأله أبو حنيفة، كالنكر عليه، ممن رويت حديث رد الشمس لعلى؟ فلجابه: ممن رويت أنت يا سارية الجبل.. فألجمه..

(٢) ذكر الحافظ ابن حجر فى ترجمته من (الدرر الكامنة) أن العلماء حكموا بنفاق ابن تيمية، لما ثبت عليه من بغض على، وانحرافه عنه، وقد قال ﷺ لعلى ﷺ: { لا يهتلك إلا منافق } قلت: وقد اطلعت على رسالة له صهولة، نكر فيها: أن الأحاديث الواردة فى فضل على لا تثبت له مزية على مطلق المؤمنين. فضلا عن الصحابة وبين ذلك فى بعض الأحاديث التى ذكرها، بكلام طاهر عليه أثر الحق والتحمل. وفى كتابه الذى سماه (منهج السنة) وهو فى الحقيقة - منهج الهدى - نجامل كبير على على. وانتقاص لعلى مقامه، خصوصا أوائل الجزء الثالث منه، فإن فيه مع ذلك مساسا بفاطمة الزهراء عليها صلوات الله، ووصفها بشائبة النفاق، وقد عاقبه الله على هذه الوقاحة والخبث، فجعله إمام الناصبية والمهتدة منذ وفاته إلى الآن، فى كل زمان ومكان، فلا تجد عدوا لأل البيت، ولا خارجا على الجماعة. إلا ولهد أفكاره، وتلميذ كتبه الملائ بالضلال، فتونك المجسمة والشبهة ومن على شاكلتهم، كلهم يمتدون عليه، ويرجعون فى نصر بدهتهم إليه، وبتونك أعداء الزهراء النبوية الذين يزعمون أنها معصية، لا حجة لهم فى زعمهم إلا كلامه، وبتونك التجريئين على القول فى الدين بالهوى والغرض، لم يكتسبوا جراتهم إلا لله، وهكذا بنية صنوف البعد، هو الذى فتح أبوابها وسهل أسبابها..

الخامس: في أوسط معاجم الطبراني بإسناد حسن كما قال أبو زرعة^(١) ابن الحافظ العراقي عن جابر بن عبد الله: أن رسول الله ﷺ أمر الشمس فتأخرت ساعة من نهار، وقال القاضي عياض في (الشفاء) بعد أن نقل حديث أسماء بنت عميس، وكلام الطحاوي في تصحيحه ما نصه: وروى يونس ابن بكير في زيادة المغازي بروايته عن ابن إسحاق: لما أسرى برسول الله ﷺ وأخبر قومه بالرفقة والعلامة التي في العير، قالوا: متى تجيء؟ قال {يوم الأربعاء} قال: فلما كان ذلك اليوم أشرفت قريش ينتظرون وقد ولي النهار ولم تجيء، فدعا ﷺ، فزيد له في النهار ساعة، وحبس عليه الشمس^(٢)، وهذان الحديثان ثابتان وروايتهما ثقات، اهـ.

ومن أراد زيادة على ما أوردناه، فليراجع (الشفاء، والمواهب وشروحيها والخصائص الكبرى للسيوطي وغيرها) والله أعلم.



١١ - حديث: الإسراء والبرق

عن أنس رضي الله عنه { أن النبي ﷺ أتى بالبرق ليلة الإسراء به ملجأً مسرجاً فاستصعب عليه، فقال جبريل ﷺ: أيا محمد تفعل هذا؟ فما ركبك أحد أكرم على الله منه، فقال: فارفض عرقاً } رواه أحمد والترمذي والبيهقي وغيرهم، وحسنه الترمذي وصححه ابن حبان.

قوله: { أتى بالبراق } هو - بضم الباء وتخفيف الراء - دابة - أبيض فوق الحمار وبنون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه، كذا جاء مفسراً في صحيح مسلم من حديث أنس أيضاً.

قوله: { فاستصعب عليه } وفي رواية اشعاز، وفي رواية شقق، ومعنى الروايات واحد، وجزم السهني بأن البراق إنما استصعب عليه، لبعد عهد ركوب الأنبياء قبله، ويؤيده ما جاء في سيرة ابن إسحاق من رواية وثيقة في ذكر الإسراء: فاستصعب البراق وكانت بعيدة العهد بركوبهم، ولم تكن ركبت في الفترة.

قوله: { فما ركبك أحد أكرم على الله منه } يدخل في هذا العموم جبريل نفسه، لأنه ممن ركب البراق، فيكون النبي ﷺ أكرم على الله منه، وعلى هذا انعقد الإجماع، إلا

(١) وكنا قلنا الحافظ ابن حجر في (فتح الباري) والحافظ السيوطي في (الخصائص الكبرى) ..

(٢) لا يعارض هذا الحديث أبي هريرة - في صحيح البخاري - (لم تحبس الشمس على أحد إلا ليوثق بن

نون) لأن معناه: لم تحبس الشمس على أحد من الأنبياء غيري، إلا ليوثق، وقال الحافظ ابن حجر: الحصر محمول على الماضي للأنبياء قبل نبينا، وليس فيه أنها لا تحبس بعد الماضي، اهـ.

قلت: لأن حرف (لم) معناه النفي في الماضي، لا في المستقبل.

ما كان من مخالفته الزمخشري وابن حزم، وهو خلاف شاذ كما تقدم التنبيه عليه .

قوله: فارتفع هرقا: أى سال منه المرق لحياثه وحججه . وقصة الإسراء مذكورة فى القرآن، وواردة فى السنة المطهرة، رواها أكثر من عشرين صحابياً، وكذلك قصة المعراج ذكرت فى القرآن الكريم فى قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ۖ جَنَازَ مَبْنُورَةٍ الْمُتَشَتَّى ۖ ﴾ ﴿ جَنَّةُ الْمَأْوَى ۖ إِذْ يَفْعُى السُّفْرَةَ مَا يَفْعُى ۖ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ۖ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴾ (النجم: ١٨-١٣) ووردت بها السنة للشفقة، إذ رواها الصحابة الذين رواوا حديث الإسراء وغيرهم، وما يروى من عائشة فى نفس ذلك، باطل مكنوب، بل صح عنها رواية حديث الإسراء، كما رواه سائر الصحابة، وقد أفردت هذه القصة بالتأليف الكثيرة فلاحافظ عبد الغنى بن سعيد، كتاب فى جزأين جمع فيه أحاديث الإسراء، وللإمام أبى إسحق النعمانى كتاب حافل فى الإسراء والمعراج مشحون بالفوائد والنفائس، وللإمام العلامة فخر المالكية، بل فخر المتأخرين قاطبة (ابن المنير) كتاب فى أسرار الإسراء والمعراج أجاد فيه كل الإجابة .

وللحافظ السهوطى رسالة الآية الكبرى فى شرح قصة الإسراء طبعت بالشام وهى مفيدة. إر غير ذلك مما لا يحصى من المؤلفات، هنا غير ما جاء عنها فى كتب التفسير والحديث والسيرة مما يطول تتبعه واستقصاؤه، ومع ورود هذا المعجزة العظيمة فى القرآن والسنة واجماع العلماء على وقوعها نجد ملحدة العصر مثل هكل ينكرونها ويؤولون وقوعها على وجه يوافق عقولهم الضيقة، وأمزجتهم السخيفة، تقليداً للمستشرقين أعداء الدين، أو طلباً للشهرة باسم التجديد وحرية الفكر ﴿ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَتَى يُؤَفِّكُونَ ﴾ (المنافقون: ١) .



١٢ - حديث: نبع الماء من أصابع النبى ﷺ

عن أنس أيضا قال: { إن نبى الله ﷺ وآله وسلم وأصحابه كانوا بالزوراء، فدعا بقدر فيه ماء، فوضع كفه فيه فجعل الماء ينبع من تحت أصابعه، فتوضأ جميع أصحابه، قال قتاده: كم كانوا يا أبا حمزة؟ قال: كانوا زهاء الثلاثمائة { رواه البخارى ومسلم .

قلت: قصة نبع الماء من أصابعه الشريفة تكررت عدة مرات، ووردت فى أحاديث كثيرة .

(١) تفيد الآية: أن النبى ﷺ وصل ليلة المعراج إلى سدرة المنتهى، وهى من عالم الآخرة الذى لا يلقى عند الفتح فى الصور، ومعنى هذا أنه ﷺ طوى فى معراجه عالم الدنيا بكواكبه وسمواته إلى عالم الأخرى، البقاء فجمع بين العالمين، وتمت له السيادة على الفريقين، وتشرف برؤية الهلوى سبحانه، لأنه كان فى مكان لا يلحقه فناء، بخلاف موسى عليه السلام فإنه لم يزل المرأية، لكونه طلبها فى الدنيا، وهى لا تصلح لها، لأنها دار فناء .

قوله: كانوا بالزوراء، مكان عند السوق بالمدينة المنورة .

قوله: فدعا بقدر (بفتح القاف والdal) إنا، يوضع فيه الماء .

قوله: زهاء الثلاثمائة، زهاء بضم الزاى وبالد، أى قدر الثلاثمائة . قال القرطبي:

قصة نبع الماء من أصابعه ﷺ: قد تكررت منه فى عدة مواطن، فى مشاهد عظيمة، ووردت من طرق كثيرة يفيد مجموعها العلم القطعى المستفاد من التواتر المعنوى . ولم يسمع بمثل هذه المعجزة عن غير نبينا ﷺ، حيث نبع الماء من بين عظمه وعصبه ولحمه ودمه .

وقد نقل ابن عبد البر عن المزنى أنه قال: نبع الماء من بين أصابعه ﷺ أبلغ فى المعجزة من نبع إنا من الحجر حيث ضربه موسى بالعصا فتلجرت منه المياه؛ لأن خروج الماء من الحجارة معهود، بخلاف خروج الماء من بين اللحم والدم، أده .

وقال النووى فى شرح مسلم: وفى كيفية هذا النبع قولان حكاهما القاضى وغيره، أحدهما ونقله القاضى عن المزنى وأكثر العلماء: أن معناه أن الماء كان يخرج من نفس أصابعه ﷺ وينبع من ذاتها، قالوا: وهو أعظم فى المعجزة من نبعه من حجر . ويؤيد هذا أنه جاء فى رواية: قرأيت الماء ينبع من أصابعه .

والثانى: يحتمل أن الله كثر الماء فى ذاته، فصار يغور من بين أصابعه،^(١) لا من نفسها، وكلاهما معجزة ظاهرة، وآية باهرة .. أده .

وقصة نبع الماء وقعت فى المدينة، وفى قباء، وفى غزوة بواط بضم الباء موضع عنى أبراد من المدينة، وفى غزوة الحديبية وتبوك، ورواها من الصحابة أنس وجابر وابن مسعود وعمران بن حصين وابن عباس .. وغيرهم، وأغلب طرقها فى الصحيحين أو أحدهما .



(١) وهذا الماء أشرف المياه، قاله سراج الدين البلقينى، وهو ظاهر . ويقرب من هذه المعجزة ما رواه ابن اسحق فى الغازى عن عمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو ابن العاص، عن أبيه، عن جده عبد الله ﷺ: أن أبا طالب قال: كنت بذى المجاز - وهى سوق بقرب حرفة - فأدركتنى العطش . فشكوت إلى ابن أخى - يعنى النبی ﷺ - فقلت: يا ابن أخى عطشت . وقلت له ذلك وأنا لا أرى عنده شيئاً . فثنى وركه، ثم نزل عن الدابة، وكان ﷺ رديفاً لأبى طالب . وقال: (ياعم عطشت)؟ فقلت: نعم . فأهوى بعتبه إلى الأرض - أى ضرب الأرض بقدمه - فإذا بالماء . فقال: (أشرب ياعم) فشربت . ورواه ابن سعد وابن عساكر وغيرهما . وهذا حديث حمز بن قنبر، يرويه أبو طالب، ولا أعلم له حديثاً آخر رواه، إلا ما أخبرنى به شقيقى الحافظ أبو الفيزر رحمه الله تعالى: أنه روى حديثاً، قال فيه: حدثنى ابن أخى محمد (وصدق) { أن من مات وهو يشهد أن لا إله إلا الله دخل الجنة } .

تفصيل

مما يشبه هذه القصة من حيث تكثير الماء ما رواه الإمام مالك في الموطأ ومسلم في الصحيح عن معاذ رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال لهم : { إنكم ستأتون غدا إن شاء الله عین تبوک وإنکم لن تأتوها حتی یضحی النهار فمن جاء فلا یمس من مائها شیئا حتی آتی } قال : فجئناها وقد سبق إليها رجلان ، والعین مثل الشراك تبض بشيء من ماء ، فسألها رسول الله ﷺ { هل منكما من مائها شیئا } قالا : نعم { فسیبها } وقال لهما : ما شاء الله أن یقول { ثم غرطوا من العین قليلا قليلا ، حتی اجتمع فی شیء ثم غسل ﷺ به وجهه یدیہ ، ثم أعاده فیها فجرت العین بماء کثیر فاستقی الناس ، ثم قال ﷺ { یا معاذ یوشک إن طالت بک حیاة أن ترى ما هاهنا قد ملیء جنانا - یعنی بهساتین - } زاد ابن اسحق فی روايته : { فأنحرف الماء حتی کان یقول من سمعه إن له حسا کحس الصواعق } وذلك الماء فوارة تبوک الیوم . ولهذه القصة نظائر فی الصحیحین و غیرهما ^(١) ، والله أعلم .

١٣ - حدیث : جاء إعرابی

عن ابن عباس رضي الله عنه ، قال : جاء إعرابی إلى النبی ﷺ ، فقال : بم أعرف أنك نبی؟ قال ﷺ { أرأیت لو دعوت هذا العذق من هذه النخلة أتشهد أنى رسول الله؟ } قال : نعم . فدعا العذق ، فجعل العذق یترل من النخلة حتی سقط فی الأرض ، فجعل ینقر حتی انتهى إلیه فقام بین یدیہ ، قال له النبی ﷺ { أرجع إلى مكانك } فرجع إلى مكانه ، فاسلم الأعرابی ، رواه أحمد والبخاری فی التاريخ والترمذی والحاكم وصحاحه و غیرهم . قلت : قصة إجابة الشجر وسجوده وسلامه تعددت ووردت فی غیر حدیث .

(١) فی صحیح البخاری عن المسور بن مخرمة فی غزوة الحديبية : أن النبی ﷺ ، وأصحابه نزلوا بأنقى الحديبية ، على ثمد قليل الماء . فلم یلبث الناس حتی نزحوه ، وشكوا إلى رسول الله ﷺ العطش . فانتزع سهما من کفائته ثم أمرهم أن یجعلوه فيه . فوالله ما زال یجیش لهم بالرى ، حتی صدروا عنه الثمد بفتحتین . حفرة فیها ماء . وفيه أيضا عن البراء بن عازب رضي الله عنه : أن النبی ﷺ توشأ فتمضط ودعا ومج فی بئر الحديبية منه ، فجاشت بالماء . وفي مغازی أبی الأسود محمد بن عبد الرحمن الأسدی المدني ، یتیم غزوة بن الزبیر . من غزوة : أن النبی ﷺ توشأ فی الدلو ومضط فاد ، ثم مج فی الدلو ، وأمر أن یصب فی البئر . وتزع سهما من کفائته وألقاه فی البئر . وبها الله تعالى ، ففارت إلى ارتفعت حتی جعلوا یخترقون بأیدیهم منها ، وهم جلوس على شقیرها . وهذه الرواية توضیح وبید لرواية البراء المطنصرة ، وقصة البئر هذه ، غیر قصة الثمد . فهما معجزتان ، وقعتا بالحديبية .

قوله: لو دعوت هذا العذقي - بكسر العين وسكون الذال المعجمة معروف - وبقيّة ألفاظ الحديث واضحة، وفيه معجزة باهرة، وآية ظاهرة، وهذا الحديث صححه الحاكم على شرط مسلم، وسلمه الذهبي .

وفي صحيح مسلم عن جابر قال: سرنا مع رسول الله ﷺ حتى نزلنا وادياً أفيح، فذهب رسول الله ﷺ يقضي حاجته، فاتبعته بإداوة من ماء، فنظر رسول الله ﷺ فلم يجد شيئاً يستتر به، فإذا شجرتان في شاطئ الوادي فانطلق رسول الله ﷺ إلى إحداها فأخذ بعض من أفصانها فقال { انتادي على يائن الله } فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يصافح قائده ثم صنع بالأخرى كذلك حتى إذا كان بالنصف (بفتح الميم الموضع الوسط) بينهما قال التثما (اجتماعاً) على يائن الله، فالتأمتا، الحديث .

وروى البزار والبيهقي في الدلائل بإسناد جيد عن ابن عمر قال: كنا في سفر مع رسول الله ﷺ فأقبل أعرابي . فلما دنا منه قال له رسول الله ﷺ { أين تريد؟ } قال: إلى أهلي . قال ﷺ { هل لك إلى خمر؟ } قال: وما هو، قال ﷺ { تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله } قال: هل لك من شاهد على ما تقول؟ قال رسول الله ﷺ { هذه الشجرة } فدعاهما رسول الله ﷺ وهى على شاطئ الوادي فأقبلت تخد الأرض خدّاً فقامت بين يديه . فاستشهدها ثلاث فشهدت، ثم رجعت إلى منبتها .

وروى البزار من طريق صالح بن حيّان عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: أرني آية؟ قال ﷺ { انهب إلى تلك الشجرة فادعها } فذهب إليها فقال: أن رسول الله يدعوك . فعالت عن كل جانب منها حتى قلعت عروقها، ثم أقبلت حتى جاءت إلى النبي ﷺ فأمرها أن ترجع، فقام الرجل فقبل رأسه ويديه ورجليه وأسلم . رواه ابن الأعرابي في جزء القبل من هذا الطريق، وقال في آخره: ائذن لي أن أقبل رأسك ورجليك، فأذن له فقبل رأسه " ورجليه، ثم قال: ائذن لي أن أسجد لك: قال ﷺ { لا يسجد أحد لأحد } وعزاد الحافظ العراقي في المعنى وقال: قال: صحيح الإسناد . أم، وفي المستدرک عن يعلى بن مرة قال: سافرت مع رسول الله ﷺ فرأيت منه شيئاً عجيباً ! نزلنا منزلاً فقال { انطلق إلى صاتين الشجرتين فقل لهما أن رسول الله يأمركما أن تجتمعا }

(١) بالخاء والشين المعجمتين، هو الجمل الذي يوضع في أنفه عود من حشاش الأرض لتهنئته، وإنما نهيت عليه لأنى رأيت القاتمين على طبع المجلد الأول من التمهيد بالمغرب، لم يهتدوا لوجه الصواب فيه .

(٢) هذا الحديث يرد على الذين يزعمون حرمة التقبيل على وجه التعظيم، وقد أوردته مع أحاديث كثيرة في جزء " أعلام النبيل بجواز التقبيل " طبع مكتبة القاهرة .

فانطلقت، فقلت لهما ذلك، فانتزعت كل واحدة منهما من أصلها، فمرت كل واحدة إلى صاحبتهما فالتفتا جميعاً، فقضى رسول الله ﷺ حاجته من ورائهما، ثم قال { انطلقا لتعود كل واحدة إلى مكانها } فاتوتهما فقلت لهما ذلك، فعادت كل واحدة إلى مكانها .

ثم ذكر معجزتين أخريين شاهد لهما^(١)، قال الحاكم: حديث صحيح، وسلمه الذهبي، وفي الصحيحين عن مسروق قال: سألت ابن مسعود: من آذن النبي ﷺ بالجن ليله استمعوا القرآن؟ قال آذنته (أعلمته) بهم شجرة، وبقيت أحاديث أخرى أيضاً، نكتفيها هنا بما أوردناه هنا، وفي شرح الحديث التاسع، وبالله التوفيق .



١٤ - حديث: حنين الجذع

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: كان جذع يقوم إليه النبي ﷺ فلما وضع له المنبر سمعنا للجذع مثل أصوات العشار حتى نزل النبي ﷺ فوضع يده عليه فسكت، رواه البخاري في صحيحه، وله طرق من جابر وبريدة وعائشة وابن عمر وأنس وأبي كعب وأبي سعيد الخدري وابن عباس وأم سلمة وسهل بن سعد وغيرهما .

وروى أبو حاتم الرازي الإمام العلم عن شيخه عمر بن سواد، قال: قال لي الشافعي: ما أعطى الله نبياً ما أعطى محمداً، فقلت: أعطى عيسى إحياء الموتى، فقال أعطى محمداً حنين الجذع فهذا أكبر من ذلك .

قوله: كان جذع يقوم إليه النبي ﷺ أي: يتكى عليه حال الخطبة وذلك قبل أن يصنع له المنبر؛ فلما صنع له خطب عليه، فسمع للجذع (بكسر الجيم وسكون النال المعجمة) مثل أصوات العشار (بكسر العين) جمع عشاره وهي الناقة التي لحملها عشرة أشهر، أو الحامل مطلقاً .

قوله: فوضع يده عليها فسكت، في رواية للبخاري: فنزل النبي ﷺ وضمها إليه (أي السارية التي هي الجذع) فجعلت تنن أنهن الصبي الذي يسكن، قال: كانت تبكي على ما كانت تسمع من الذكر عندها، ولهذا الحديث طرق عن البخاري وسند أحمد، ولا بأس أن نشير إلى عزو الطرق المشار إليها في المتن، مع بيان ما في بعضها من الزوائد،

(١) ذكرت هذا الحديث بتمامه وشرحته في سمر الصالحين ج٢، وفيه در البوصيري حيث قال:

جاءت لدهوته الأشجار ساجدة تمشى إليه على ساق بلا قدم
كانما سطرت سطوراً لما كتبت فروعها من يدع الخط في اللقم

فحديث برهدة رواه الدارمي من طريق عبد الله بن برهدة عن أبيه، وفيه من الزيادة ما نصه: فرجع النبي ﷺ فوضع يده عليه وقال { اختر أن أغرسك في المكان الذي كنت فيه فتكون كما كنت، وإن شئت أن أغرسك في الجنة فتشرب من أنهارها وهيئتها فمحسن نبتك وتثمر فيها كل أولياء الله من ثمرتك } . فسمع النبي ﷺ وهو يقول له: نعم قد فعلت، مرتين فسئل النبي ﷺ فقال { اختار أن أغرسه في الجنة } .

وحديث عائشة رواد الطبراني في الأوسط وأبو نعيم والبيهقي في الدلائل بنحو حديث برهدة، وحديث بن عمر رواه البخاري وأحمد، وحديث أنس رواه أحمد والترمذي وابن ماجه والدارمي وأبو يعلى وأبو نعيم والبيهقي، وفيه { خار الجذع كخوار اللوز حتى ارتج المسجد بخواره، فنزل إليه رسول الله ﷺ فالتزمه فسكت فقال: والذي نفسي بيده لو لم ألتمزمه لما زال هكذا إلى يوم القيامة حزناً على رسول الله ﷺ } قال الترمذي حديث صحيح غريب، ورواه البغوي عن طريق الحسن بن أنس، وزاد عليه: فكان الحسن - يعني البصري - إذا حدث بهذا الحديث بكى، ثم قال: يا عباد الله الخشبة تحن إلى رسول الله ﷺ شوقاً إليه، لمكانته عند الله، وأنتم أحق أن تشفقوا إلى لقاءه .

وحديث أبي بن كعب رواه الشافعي وأحمد والدارمي وابن ماجه وأبو يعلى وسعيد ابن منصور وأبو نعيم والبيهقي، وحديث أبي سعيد الخدري، رواه عبد بن حميد وابن أبي شعبة والدارمي وأبو نعيم .

وحديث ابن عباس رواه أحمد بإسناد صحيح على شرط مسلم . ورواد أيضاً ابن سعد وابن ماجه والدارمي وأبو نعيم والبيهقي . وحديث أم سلمة، رواه أبو نعيم والبيهقي . وحديث سهل بن سعد رواه البخاري ومسلم وغيرهما .

وروى الزبير بن بكار في أخبار المدينة عن المطلب بن أبي وداعة، قال: كان النبي ﷺ يسند ظهره إلى جذع في المسجد إذا خطب، فلما جعل له المنبر، وجلس عليه، خار الجذع خوار اللوز، فاقبل عليه حتى التزمه فسكن، وقال: لا تلوموه فإن رسول الله ﷺ لم يلمارق شيئاً إلا وجد (أي: حزن) عليه .

قال البيهقي: قصة حنين الجذع من الأمور الظاهرة التي حملها الخلف عن السلف، أم .

وقال القاضي عياض: حديث حنين الجذع مشهور منتشر والخبر به متواتر، أخرجه أهل الصحيح ورواه من الصحابة بضعة عشر، أم . ثم ذكر هشرة من الصحابة .

وقال التاج ابن السبكي في رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب: والصحيح عندي أن حنين الجذع متواتر، رواه البخاري عن نافع عن ابن عمر، ورواه أحمد من رواية أبي جناب عن أبيه عن ابن عمر، ورواه ابن ماجه وأبو يعلى الموصلي وغيرهما من رواية حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس، وإسناده على شرط مسلم، ورواه الترمذي وصححه، وأبو يعلى وابن خزيمة والطبراني من رواية اسحق بن عبد الله ابن أبي طلحة عن أنس. ورواه الطبراني من رواية الحسن عن أنس، ورواه أحمد وابن مئيع والطبراني وغيرهما من رواية حماد بن سلمة عن عمار بن أبي عمار عن ابن عباس، ورواه أحمد والدارمي وأبو يعلى وابن ماجه وغيرهما من رواية الطفيل ابن كعب عن أبيه، ورواه الدارمي من رواية أبي حازم عن سهل بن سعد ورواه أبو محمد الجوهري من رواية عبد العزيز بن أبي رواد.

عن نافع عن تميم الداري قال: ولست أدعي أن التواتر حاصل بما عدت من الطرق، بل من طرق أخرى كثيرة يجدها المحدث ضمن المسانيد والأجزاء، وغيرها. أهـ. ولهذا أخرج السيوطي في كتابه الذي ألفه في التواتر، ولكن قال الحافظ في الفتح إنه نقل نقلاً مستفيضاً يفيد القطع عند من يطلع على طرق الحديث دون غيرهم ممن لا ممارسة لهم في ذلك أهـ.

ولا شك أن معجزة حنين^(١) الجذع أكبر من أحياه الموتى، كما قال الإمام الشافعي، لأن حنين الجماد وبكائه كالطفل، أبعد وأغرب من عودة الحياة إلى جسم كان حياً، واستعود إليه الحياة عند بعثه، فاليت ليس بجماد صرف، بل من شأنه الحياة، كما لا تخفى. والله اعلم.

١٥ - حديث: مسح رأسه بيده

عن حنظلة بن حذيم: أن النبي ﷺ مسح رأسه بيده وقال له { بورك فيك } قال الديال: هو حفيد حنظلة وراوي الحديث عنه، فرأيت حنظلة يؤتى بالشاة الوارم ضرعها والبحير والإنسان به الورم فيتفل في يده ويمسح بصلعته ويقول: بسم الله على أثر يد رسول الله ﷺ فيمسحه، ثم يمسح موضع الورم فيذهب الورم. رواه الإمام أحمد والبخاري في التاريخ والطبراني والبيهقي وغيرهم، وإسناده الحديث لا بأس به.

(١) حنين الجذع، اشتهر بين المحدثين بالحاء المهملة، والصواب عندي أنه بالحاء المعجمة. وهو صوت البكاء الخارج من الحياشيم، شبه به صوت الجذع، أما الحنين بالحاء المهملة، فهو انشوق، وهو معنى باطلنى لا صوت له.

حنظله .. بفتح الحاء والطاء بهتة نون ساكنة، وحذيم بضم الحاء، وهو حنظلة بن حذيم بن حنيفة التميمي له ولأبيه ولجده صحبة .

قوله: مسح رأسه بيده .. الخ، وسبب ذلك: أن أباه حذيمًا وجده حنيفة وأعمامه أتوا إلى النبي ﷺ في خصومة لهم ومعهم حنظلة غلام، فقال أبوه للنبي ﷺ: إن لي بفين ذوى لحى وإن هذا أصغرهم، فادع الله له . فمسح رأسه بيده، وقال له { بورك فيك } أو { بارك الله فيك } شك من الراوى، فكان من أثر مسحه ودعائه ما ذكر في الحديث .

والصلعة - بفتح الصاد - ما انحسر عنه الشعر من مقدم الرأس، وضرع الشاة معروف، وهذا غير كثير في جانب بركته ﷺ، وما ورد من برء ذوى العاهات والأمراض بقله ﷺ، أو مسح يده أو دعائه . شئ كثير جداً لو جمع لجاء في كتاب حافل، ولعل الله يوفقنا إلى جمع ذلك بعد الانتهاء من هذا الكتاب بحول الله^(١)، ورجال هذا الحديث ثقات ومعناد صحيح .

١٦ - حديث: قصصية من غدوة

عن سبرة بن جندب قال: كنا مع رسول الله ﷺ نداول في قصصية من غدوة حتى الليل يقوم عشرة ويقعد عشرة، قلنا: فيما كانت تمدُّ قال: { من أى شئ تعجب؟ ما كانت تمتد إلا من ههنا وأتار بيدد إلى السماء } رواه الترمذى والحاكم والبيهقى وصححه.

وقصة تكثير الطعام وردت في أحاديث كثيرة في الصحيحين وغيرهما (سبرة بضم الميم، والقصة بفتح الفاف) ومن اللطائف اللغوية قولهم: لا تكسر القصعة، ولا تفتح الجراب، والغدوة ما بين صلاة الصبح وطلوع الشمس، وهذا الحديث صححه الحاكم على

(١) وفي صحيح مسلم والسنن الأربعة إلا الترمذى عن أسماء بنت أبي بكر مـ: أنها أخرجت جبة طيبة ذات أعلام خضر . وقالت: كان رسول الله ﷺ يلبسها . فنحن نغسلها، فنمتشفي بها . وفي الصحيحين في غزوة خيبر: أنه ﷺ دعا علياً ليعطيه الراية فجىء به يقاد ثمرد شديد أصابه . فقتل في عيفيه، فبرأ كان لم يكن بها وجع . وفي صحيح البخارى عن سلمة بن الأكوع، قتل: أصابته طرية في ساقى يوم خيبر . فقال القاس: أصيب سلمة . فأتيت النبي ﷺ . فنتت فيها ثلاث نقثات، فعا اثكيتها بعد ذلك قط، وروى أبو الشيخ في كتب الأخلاق النبوية عن محمد بن مهاجر، قال: كان متاع رسول الله ﷺ، عند عمر بن عبد العزيز، في بيت ينفق إليه كل يوم . قال: وكان بهما إجمعت إليه قرش، فأدخلهم في ذلك البيت . ثم استقبل ذلك التاع فيقول: هذا ميراث من أكرمكم الله به، وأعزكم الله به . قال: وكان سرياً مرمولاً بشريط، ومرفقة من آدم محشوة بليف، وجفنة، وقذح . وقطيفة صوف، كأنها جرمانية . ورحى . وكنانة، فيها أسهم . قال: وكان في القطيفة أثر وسخ رأسه . فأصيب رجل، فطلبوا أن يمسحوا بعض ذلك الوسخ فيعطي به . فنكر ذلك لعمر، فمسح فبرأ .. أف

شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وفيه معجزة كبرة في تكثير الطعام القليل .

ولهذا نظائر كثيرة في الصحيحين، عن جابر في غزوة الخندق قال: فانكفأت إلى امرأتى فقلت: هل عندك شيء؟ فإني رأيت النبي ﷺ خمصاً شديداً، فأخرجت جراباً فيه صاع من شعير، ولنا بهيمة داجن، فذهبتنا وطحننا الشعير، ثم جئت النبي ﷺ فساررت فقلت: يا رسول الله نهجتنا بهيمة - بالتصغير - لنا وطحننا صاعاً من شعير فتعال أنت وتقرأ معك، فصاح النبي ﷺ { يا أهل الخندق إن جابر صنع سواراً - أي: طعاماً - يدعوا إليه الناس فحي هلا بكم } فقال ﷺ { لا تنزلن برمتكم ولا تخيزن عجيبتكم حتى أجيء برجال } فأخرجت له عجينة فبصق فيه وبارك، ثم عمد إلى برمتنا فبصق وبارك، ثم قال { أدع خابزة فلتخيز معك والقدحى - أي: اغرفى - من برمتكم ولا تنزلوها } وهم ألف، فاقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوه وانحرفوا، وإن برمتنا لتقط كما هي، وإن عجينةنا ليخبز كما هو، ووقعت قصص من هذا القبيل في غزوة الخندق وتبوك وغيرها، وهي مخرجة في الصحيحين، وبهية كتب الحديث والمهرة .



١٧ - حديث: شق قلب النبي ﷺ

عن أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل ﷺ وهو يلعب مع الغلمان. فأخذه فصرعه فشق من قلبه، فاستخرج القلب فاستخرج منه علقة، فقال (هذا حظ الشيطان منك) ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه، ثم أعاده في مكانه وجاء الغلمان يسعون إلى أمه - يعني ظئره (مرضعته) - فقالوا: أن محمداً قد قتل، فاستقبلوه وهو منتقع اللون، قال أنس: ولقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره، رواه مسلم في صحيحه .

قوله: فصرعه .. أي: أضجعه على الأرض إضجاعاً لطيفاً، كما في رواية شاذ بن أوس .

قوله: عِلْقَةٌ بِلَتَحَات .. أي: قطعة دم منعقدة .

قوله: هذا حظ الشيطان منك .. يعني: أن العلة أو المصلحة السوء، كما في رواية أخرى .

هي محل وسوسة الشيطان من قلب الإنسان، فحيث أنزلت عنك ذهب حظ الشيطان ونصيبه منك .

قوله: ثم غسله في طست - بفتح الطاء، ويجوز ضمها وكسرهما، وبالسهم المهملة ويجوز أعجامها .

قوله: ظنره هي الموضع .

قوله: منتقع اللون .. أى: متغير اللون، مثل النقع وهو الغبار .

وفى حديث شجاع بن أوس: أن رسول الله ﷺ قال { كنت مسترضعاً فى بنى سعد بن بكر، فبينما أنا ذات يوم فى بطن واد مع أتراب لى من الصبيان إذا أنا برهط ثلاثة معهم طست من ذهب ملىء ثلجاً فأخفونى من بين أصحابى وانطلق الصبيان هرباً مسرعين إلى الحى، فبعد إليّ أحدهم فأضجعنى على الأرض اضجاءاً لطيفاً، ثم شق ما بين مفرق صدرى إلى منتهى عاتقى، وأنا أنظر إليه، لم أجد لذلك مأساً، ثم أخرج أحشاء بطنى ثم غسلها بذلك الثلج، فأنعم غسلها، ثم أعادها مكانها، ثم قام الثانى فقال لصاحبه: تنح، ثم أدخل يده فى جوفى فأخرج قلبى وأنا أنظر إليه فصده، ثم أخرج منه مضغة سوداء فرمى بها، ثم قال بيده يمينة وبسرة كأنه يتناول شيئاً، فإذا بخلاتم فى يده من نور يحار الناظر بونه، فختم به قلبى فامتلاً نوراً وذلك نور النبوة والحكمة، ثم أعاده مكانه فوجدت برد ذلك الخاتم فى قلبى بهراً، ثم قال الثالث لصاحبه: تنح، فأمر يده بين مفرق صدرى إلى منتهى عاتقى فالتأم ذلك الشق يائن الله تعالى، ثم أخذ يدي فأتمطنى من مكاتى إنهاضاً لطيفاً، ثم قال للأول: زنه بعشرة من أمته، فوزنتى بهم، فرجحتهم: ثم قال: زنه بمائة من أمته، فرجحتهم، ثم قال: زنه بألف، فرجحتهم، فقال: دعوه قلو وزنتموه بأمته كلها لرجحهم، ثم ضمونى إلى صدورهم وقبلوا رأسى وما بين عيني ثم قالوا: يا حبيب لم ترع أنك لو تدرى ما يراد بك من الخير لفررت عيناك { الحديث، رواد أبو يعنى وأبو نعيم وابن عساكر .

وفى حديث أبى ذر عند الدارمى { فما هو إلا ولها عنى فكانما أرى الأمر معاينة {

وفى رواية ابن غنم عند الدارمى أيضاً { أن جبريل عليه السلام قال: قلب وكعب - شديد - فيه عينان تنظران، واذنان تسمعان { وللحديث طرق أخرى" .

والحكمة من شق صدره الشريف واستخراج العلقة من قلبه تطهيره من حالات الصبا، وتنشئته على الرجولة القامة، ولهذا نشأ ﷺ على أكمل الحالات، وأفضل الصفات لم يعمل إلى شىء مما يعمل إليه الصبيان، ولم يستهوى ما استهوى غيره من الشبان والفتيان، حتى أكرمه الله بنبوته، وأصطفاه لرسالته ﷺ .

ثم شق صدره الشريف مرة ثانية: عند بعثته ﷺ ليمتلئ الوحي بقلب قوى، واستعداد كامل .

(١) منها حديث عتبة بن عبد السلمي عند الحاكم، وصححه على شرط مسلم، وسلمه الذهبي .

ثم شق صدره الشريف للمرة الثالثة: لهلة الإسراء كما ثبت في البخاري وغيره،
ليتهياً للترقى إلى الملأ الأعلى والسموات في المقام الأسنى، وليتقوى قلبه لمشاهدة العلى
الأعلى، ولهذا لما لم يتفق موسى ﷺ مثل هذا التهمز والاستعداد لم تتفق له الرؤية^(١).

(١) قال الحكم الترمذى: حدثنا محمد بن رزلم الأيمى، ثنا محمد بن عطاء الهجيمى، ثنا محمد بن
تصير، عن عطاء بن أبى رباح عن ابن عباس قال: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿ رَبِّ أَرْنِي أُنظُرُ
إِلَيْكَ ﴾ قال ﴿ يا موسى إنه لا يراى حتى إلا مات ولا يابس إلا تعدده ولا رطب إلا تفرق، إنما يراى
أهل الجنة الذين لا تموت أعينهم ولا تبلى أجسادهم ﴾ أما نبينا ﷺ فالراجع عند أكثر العلماء كما قال
النفوى: أنه رأى ربه لهلة الإسراء رؤية بصرية، وروى الترمذى من طريق الحكم بن أبان عن عكرمة
عن ابن عباس قال: رأى محمد ربه، فقلت: أليس يقول الله ﴿ لَا تُفْرِكُهُ الْإِبْصَارُ ﴾ قال: ويحك،
ذاك إذا تجلى بنوره الذى هو نوره، وقد رأى ربه مرتين، وروى الثنائى بإسناد صحيح، وصححه
الحاكم أيضاً عن ابن عباس قال: أتجيبون أن تكون الحلة لإبراهيم، والكلام موسى. والرؤية لمحمد
ﷺ وللطيرانى فى الأوسط بإسناد رجاله رجال الصحيح غير واحد، فوثقه ابن حبان عن ابن عباس أنه
كان يقول: إن محمداً ﷺ رأى ربه مرتين مرة ببصره، ومرة بقلوبه، وروى ابن خزيمة بإسناد قوى عن
أنس قال: رأى محمد ربه، وروى ابن خزيمة عن عبد الرزاق عن معمر بن سليمان عن المبارك بن
فضالة قال: كان الحسن يحلف بالله: لقد رأى محمد ربه، وروى ابن خزيمة أيضاً عن كعب قال: أن
الله قسم كلامه وروفته بين موسى ومحمد صلوات الله عليهما، فراه محمد مرتين، وكلم موسى مرتين،
وروى أيضاً عن عروة بن الزبير: إثبات الرؤية أيضاً، وروى ابن الجوزى فى مناقب الإمام أحمد، عن
عبدوس بن مالك العطار قال: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل يقول: أصول السنة عندنا: التمسك
بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ، والإقتداء بهم، وذكر شيئاً من العقيدة، إلى أن قال: وأن النبى
ﷺ قد رأى ربه، فإنه ما نوره من رسول الله ﷺ، صحيح، رواه قتادة عن عكرمة عن ابن عباس، ورواه
الحكم ابن أبان عن عكرمة عن ابن عباس، ورواه على بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس.
والحديث عندنا على ظاهره، كما جاء عن النبى ﷺ. أما: وروى الطلال فى كتاب السنة عن
المروذى قلت لأحمد: إنهم يقولون أن عائشة قالت: من زعم أن محمد رأى ربه فقد أعظم على الله
الفسرية. فبأى معنى يرفع قولها؟ قال: يقول النبى ﷺ { رأيت ربى } يقول النبى أكبر من قولها. أنه
. وهذا الحديث رواه ابن عباس، وأصل أحمد إلى طرقه فى كلامه أنفاً، وأفراد ابن خزيمة فى كتاب
التوحيد باباً لرؤية النبى ﷺ ربه تعالى، وأطال الاستدلال لذلك، وأجاب عن كلام عائشة بأنها نفت
الرؤية، وابن عباس وأنس وظهرهما أثبتوها، والإثبات مقدم على النبى، وروى عن عبد الرزاق قال:
ذكرت لمعمر حديث عائشة، فقال: ما عائشة عندنا أعلم من ابن عباس، قال ابن خزيمة: ومحال أن
يقال ابن عباس أعظم على الله القرية، ولا أظن أحد من أهل العلم يتوهم أن ابن عباس أثبت الرؤية
بالظن والرأى، ولا أنس ابن مالك، ولا أبو ذر، هذا ملخص كلام ابن خزيمة، وأما قوله تعالى ﴿ لَا
تُفْرِكُهُ الْإِبْصَارُ ﴾ فلا يدل على نفى الرؤية لوجهين:

الأول: أن الإصدار لفظ عام، أى: لا تتركه عموم أبصار الناس، وخلص منه بصر النبى ﷺ على سبيل
التمييز والإكرام، فتكون الآية من قبيل العام للخصوص.

الثانى: أن الإدراك معناه: الإحاطة، فالآية الكريمة تنفى الإحاطة، ونفى الإحاطة لا يستلزم نفى الرؤية،
ألا ترى أن المؤمنون يرون الله فى الجنة، ولا يحيطون به، بل نحن نرى الشمس والقمر. ولا نحيط
بهما، فكذلك النبى ﷺ رأى الله من غير أن يحيط به، وتعالى الله عن أن يحيط به أحد من خلقه.

وأما حديث أبى ذر: سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك؟ فقال { نور أنى أراد } فأجاب عنه --

وفي هذا الحديث لطائف منها: أنه تحقق بشق صدره، وصدع قلبه، إكرامه بالصبر الجميل، كما تحقق لجده إسماعيل التيهج، مثل ذلك لصبره على ملذعات الذبح فلئني الله عليه بذلك - ولكن سير نهينا لك أشد، واحتماله لقوى الفارق المظلم بين الأمرين كما لا يخفى -

ومنها: غسل قلبه بطست من ذهب وفيه كما قال الحافظ مناسبات منها: أنه من أولي الجنة. ومنها: أنه لا تأكله النار ولا القراب، ولا يلقه الصاع، ومنها: أنه أثقل الجواهر فتدب قلبه عليه العجلة والسلام، لأنه من أولي أهل الجنة، ولا تأكله النثر - ولا القراب، إن الله حرم على الأرض أن تكل أجساد الأنبياء، ولا يلقه الصاع، وأنه أثقل من كل قلب عدل به.. وفيه مناسبة أخرى: وهي ثقل الوحي فيه، هذا كلام الحافظ في التفتح.

وقال السهلي وابن حبة: إن نظر إلى لفظ الذهب تنسب من جهة إغراب الرجب منه ولكونه وقع عند الذهاب إلى ربه، وإن نظر إلى معناه، فلو طامته وثقله..

ومنها: ما ذكره المعارف ابن أبي جمرة أنه أعطى برؤيته شل صدره وقلبه الشريفين عدم الخوف من العادات التجارية بالهلاك، فحصلت له قوة الإيمان من ثلاثة أوجه:

(١) قوة التعبد (٢) والخلعة (٣) وعدم الخوف من العادات المهلكات.

فكسل له ذلك ما أريد منه من قوة الإيمان بالله تعالى. وعدم الخوف مما سواه. ولأجل ما أعطيه من أشرنا إليه كان تعالى في العالمين - بفتح الهم - أي العالم العلوي والعالم السفلي، أشجعهم وأثبتهم وأعلام حالاً ومقالاً.

ففي العلوي كان كما أخبر تعالى: أن جبريل أتاه لما وصل معه إلى مقام قال: هأنث وبربك - هذا مقام لا أتعداه - فزج فيه أي في النور رجة ولم يتوان وثم يثقت فكان هناك في الحسرة كما أخبر عنه تعالى بقوله (أما زأج البصر وما طفت لأرجف) وأما حاله فكان في هذا العالم، فكان إذا حمى اليطوس في الحرب وكش بطله في بحر العدو وهم شاكون سلاحهم، ويقول: {أنا انتهى لا كتب لنا ابن عبد المطلب} - أي - وهو غلب، لكن ما ذكره عن جبريل من قوله: هذا مقام لا أتعداه، ثم أقبل له على إسماء

تقبه: تحريم استعمال الذهب إنما حصل في المدة بعد الهجرة، وشق الصدر

... ابن خديجة بأنه يجوز أن يكون سأل قبل حصول الرؤية، ثم حصلت بعد ذلك، فقد: ويتأيد هذا بما ثبت من أبي هريرة أنه رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم يلقى ربه بقلبه، وثبت ذلك عن عبد الله بن الحارث بن نوفل أنه رأى عتيبا ابن حذيفة، وأظن ما كلفناه في التعليق رقم ١١١ من الحديث رقم ١١١

حصل قبل ذلك، فلا يرد أن يقال: كيف صح غسل قلبه في طست من ذهب وهو محرم؟ لأن استعمال الذهب إذ ذاك كان مباحاً، وإقنه كذا نعلم.



١٨ - حديث: فضل محمد ﷺ على الأنبياء

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: { فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ، أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّهْبِ، وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْبَلَدِ كُلِّهِ، وَخُيِّمَ بَيْنَ النَّهْيِ } رواه مسلم في صحيحه.

قوله: فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ، هذا العدد لا مفهوم له لأن له فوائد غير هذه الست كما سيأتي قوله، أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، أي الكلام الجوامع وهي الأحاديث المفصلة اللفظ الكثيرة المعنى، كحديث { إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ } فإن فيه من الأحكام والفوائد ما لم يرد بالتأليف، وله نظائر كثيرة، فكرر جملة منها القاضي عياض في الشفاء. وأحاديث الأربعين النووية، كلها كلمة جوامع وهي متداولة مشهورة.

قوله: وَنُصِرْتُ بِالرُّهْبِ .. أي أن الله ينصره بتضاف الرهب في اللوب أهله، زاد في رواية أخرى في الصحيحين من حديث جابر: وَنُصِرْتُ بِالرُّهْبِ بَيْنَ يَدَيِ سَبْعَةِ شُهُورٍ.

قوله: وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ .. زاد في رواية جابر: وَلَمْ تَحِلْ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَالْغَنَائِمُ جَمْعُ غَنِيمَةٍ، وهي ما يفتن من العدو في الجهاد، وكان من قبلنا إذا قُتِلَ غَنَائِمٌ، جَمَعُوا فِي مَكَانٍ لِقَاتِي نَارٍ مِنَ السَّمَاءِ فَتَأْكُلُهَا. وكذلك جاء مبيناً في حديث الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ طَهُورًا .. بفتح الطاء .. أي: يتيمم بأجزائها. واستدل به على أن التيمم يرفع الحديث: كالأوضوء.

قوله: وَمَسْجِدًا أَيْ مَوْضِعًا لِلسَّجْدِ لَا يَخْتَصُّ مَكَانٌ مِنْهَا دُونَ الْآخَرِ، وفي حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده: وَكَانَ مِنْ قَبْلِي إِنَّمَا يَصْلُونَ فِي كَنَائِهِمْ، وفي حديث ابن عباس عند الجزارة: وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ يَصَلِّي حَتَّى يَبْلُغَ مَحَرَّاهُ. واستدل المالكية والمحنكية بقوله: وَجُعِلَتْ الْأَرْضُ طَهُورًا، على جواز التيمم بجميع أجزاء الأرض من تراب ورمل وحجر ونحو ذلك.

وخصص الشافعية التيمم بالتراب فقط، متمسكين برواية حذيفة في صحيح مسلم: وَجُعِلَتْ تَرَابُهَا لَنَا طَهُورًا. قالوا: فهذا خاص بحمل عليه غيره من الروايات التي وردت عامة، ونوقشوا في هذا الاستدلال مناقشات قوية يترجع منها جانب القول الأول للمزيد بمعوم قوله تعالى:

﴿ قَسَمُوا صِحْياً ظَهِياً ﴾ (ص: ١٢) وبعبارة أخرى في التهم، فإنه لم ينقل عنه بأنه ألزم التهم بالقراب فقط، بل كان يتيمم بالأرض التي كان يصلي عليها تراباً كانت أو سبخة أو رملًا.

قوله: وأرسلت إلى الخلق كافة .. أي: الإنس والجن، بهذا نطق القرآن واتخذ عليه الإجماع فمدعى خصوص رسالة بالمعرب كالمزاج، وهل أرسل إلى الملائكة؟ حكى لخر الدين الرازي: الإجماع على أنه غير مرسل إليهم، وقال جماعة من الأئمة: أرسل إليهم رسالة تشريف لا تكليف، ورجح النجاشي: أنه أرسل إليهم، وكذا رجحه البيهقي وزاد عليه أنه أرسل إلى جميع الحيوانات والجمادات، واستدل بشهادة الطيب له بالرسالة، وشهادة الحجر والشجر، وألف الحافظ السيوطي في الانتصار لهذا القول رسالة سماها "تزيين الأرائك في إرسال النبي ﷺ إلى الملائكة" واستدل فيها بعشرة أدلة أقواها كما قال الله تعالى ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلِداً سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴾ (الصافات: ٦١) يعني للملائكة بل أن قال ﴿ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ ﴾ - أي: الملائكة - ﴿ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ قَوْمِهِ فَذَلِكَ نُحْزِرُهُ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نُحْزِرُ الظَّالِمِينَ ﴾ (الصافات: ٦٩) قال: فهذه الآية إنذار للملائكة على لسان النبي ﷺ في القرآن الذي أنزل عليه، وقد قال تعالى ﴿ وَأَوْحَى إِلَيْنَا هَذَا الْقُرْآنُ لِتُذَكَّرُوا بِهِ وَمَنْ يَنْفُخْ ﴾ (الأنعام: ١٩) فثبت بذلك إرساله إليهم، اهـ^١

وأنظر بقية أدلته في الرسالة المذكورة فهي مطبوعة ضمن كتابه الحاوي في الفتاوى

قوله: وحكم بنو النيبون، فهو خاتم الأنبياء .. أي: آخرهم، لا نبي بعده في عبادة ولا بعد عصره، وهذا أمر معلوم عن الدين بالضرورة.

فالقاديانية الذين يزعمون نبوة غلام أحمد القادياني، تكفار مرتدون بإجماع المسلمين، ولا تصح متابعتهم، ولا تؤكل ذبيحتهم، وهم دسيسة استعمارية خدما مصالح الإنجليز في الهند، وكان زعيمهم القادياني يصرح على رؤوس الأشهاد بحبه لإنجلترا، وولائه لها ويحضر أتباعه على خدمتها ويحمد الله على أنه وجد في بلد تحت رايته، إلى غير هذا من أقواله السخيفة المذونة في كتبهم.

(١) وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ في التكبر إلى الجمعة - (في صلاة خارج الإمام حصرته الملائكة يستمعون الذكر) فحضورهم لاستماع الخطبة دليل على أنهم مكلون بذلك، وهم في قناعات: أنهم يحلون محل صلاة الجماعة، وهذا قال الإمام ﴿ وَلَا الظَّالِمِينَ ﴾ قالوا: ﴿ آمين ﴾ وأما ما يحجج البطلاني من رواية بن رطلج رضى الله عنه أنه وجد في بلد تحت رايته، إلى غير هذا من أقواله السخيفة المذونة في كتبهم، فالحق أن كلمة نعوها، قال وكذلك من شهد جرم من الملائكة، فهذا يدل على أنهم مكلون بشريعته.

ويقتلهم في الكفر والارتداد وخدمة مصالح الاستعمار: قوتة البهائية الذين يزعمون أن الإسلام نسخ يديهم، ويبتكرون البعث والنشور والجنة والنار، والعبادة والصيام ويحجزون إهارة النساء بعضهم لبعض، ويؤلفون زعمهم ويحجون إلى عكا^(١)، يطوفون بغير إلههم عيلس السهاء، وهي قبلتهم في صلاتهم، وهي صلاة خاصة تخالف صلاة المسلمين، إلى غير ذلك^(٢) من القبائح، وقد طروا كثيراً من الناس مدعياً فدخلوا في مبادئهم، ولهم بالمحلة الكبرى شعبة نشطة، قتلهم الله ولعنهم إلى يوم الدين .

١٩ - حديث: أعطيت جوامع الكلم

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ { نُصِرْتُ بِالرُّقْبِ وَأُعْطِيتُ جَوَامِيعَ الْكَلِمِ وَبَيْنَمَا أَنَا تَائِمٌ أَتَيْتُ بِمَطَائِحِ خَزَائِنِ الْأَرْضِ فَوَضَعْتُ فِي يَدِي } قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ فَلَقِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنْتُمْ { تَنْكَلُونَهَا } رواه البخاري .

قوله: وأعطيت جوامع الكلم .. تقدم ترجمته، وقال الهروي: يعنى به القرآن، جمع الله تعالى في الألفاظ اليسيرة منه للعاني الكثيرة، وكلامه ﷺ كان بالجوهر قليل اللفظ كثير المعاني.

قوله: . وبينما أنا تائم أتيت بمطائح خزائن الأرض فوضعت في يدي، قال الهروي: هذا من أعلام النبوة، فإنه إظهار بفتح هذه البلاد لأمنه، ووقع كما أخبر ﷺ. وقه الحمد والمنة .. لم .

قوله: وأنتم تنكّلونها .. أي: تستخرجون ما فيها، يعنى خزائن الأرض، وما فتح على المسلمين من الفنا بسبب الفتوحات الإسلامية .

تنبية: ذكر في هذا الحديث والذي قبله سمعة خصال من خصوصياته، وبلغت خصال أخرى منها: إعطائه الشفاعة، رواه الشيطان من حديث جابر، والمراد بها الشفاعة العظمى، ومنها: تصبته بأحمد، وجعلت أمته خير الأمم، رواه أحمد من حديث علي بن أبي طالب، ومنها: جعلت صلواتكم كصلوات الملائكة - يعنى في الصلاة - رواها مسلم من حديث حذيفة، ومنها: إظهاره الآيات من آخر سورة البقرة عن كنز تحت العرش - رواه الفسائي

(١) وحديث (طوبى لمن رأى عكا) مكتوب باطل .

(٢) والجهاد في دينهم منسوخ، فلا يجوز عندهم جهاد الكفار والمشركين، بل يجب أقتلهم بالدخول في دين البهائية، لأن أقتلوا به ودخلوا فيه، تركوا البلاد لأهلها ورحلوا عنها بلا مقومة، وهذا كلام سطيف .

فأجابه فقال النبي ﷺ { سموا باسمي ولا تكونوا بكنيتي بإيما بعثت فاسموا أنفسكم بينكم } فبهذه الروايات الصحيحة تبين أنه ﷺ يقسم بين اسمه ما يوزقهم الله من معارف وعلوم وأموال وغيرها... وليس قسمه ﷺ خاصاً بهذا النبي. والفنالم: بل هو عام كما ذكرناه، وأنه أعلم.

قوله: سموا باسمي ولا تكونوا بكنيتي، قال النووي: اختلف العلماء في هذه المسألة على مذاهب كثيرة جميعها القاضي وفهره:

إحدهما: مذهب الشافعي وأهل الظاهر: أنه لا يحل التكني بأبي القاسم لأحد أصلاً سواء كان اسمه محمد أو أحمد، أم لم يكن لظاهر هذا الحديث.

والثاني: أن هذا للنبي منسوخ، فإن هذا الحكم كان في أول الأمر، لهذا للنبي المذكور في الحديث، وهو أن رجلاً نادى بالبهيم: يا أبا القاسم، فالتفت إليه النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله إني لم أعنك، إنما دعوت غلاباً فقال { سموا باسمي ولا تكونوا بكنيتي } ثم نسخ، فقولك فبهام اليوم التكني بأبي القاسم لكل واحد سواء من اسمه محمد وأحمد وغيره، وهذا مذهب مالك.

قال القاضي: ربه قال جمهور السلف وفقهاء الأصهار، وجمهور العلماء: قالوا: وقد اشتهر أن جماعة تكونوا بأبي القاسم في العصر الأول، ولهذا بعد ذلك إلى اليوم مع كثرة قائل تلك وعدم الإنكار.

الثالث: مذهب ابن جرير: أنه ليس بمنسوخ، وإنما كان النهي للتنزيه والأدب لا للتحريم. الرابع: أن النهي عن التكني بأبي القاسم مطلق بمن اسمه محمد أو أحمد. ولا بأس بالكنية وحدها لمن لا يسمى بواحد من الاسمين، وهذا قول جماعة من السلف وجاء فيه حديث عوف عن جابر.

الخامس: أنه ينهي عن التكني بأبي القاسم مطلقاً وينهي عن التسمية بالقاسم، لئلا يكتنى أبوه بأبي القاسم، وقد طهر مروان بن الحكم اسم ابنه عبد الملك حين بلغه هذا الحديث، فسماه همد الملك، وكان اسمه أولاً القاسم، وفعله بعض الأصهار أيضاً.

السادس: أن التسمية بمحمد ممنوعة مطلقاً سواء له كنية أم لا. وجاء فيه حديث عن النبي ﷺ { سمون أولادكم بمحمد ثم تلعنوتهم } وكتب عمر إلى الكوفة لا سموا أحد

(١) وروى أحمد وأبو داود عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال { ما أولادكم من شيء ولا أمتهكم من أنا إلا حازن أشنع حيث أكرت }.

باسم نبي، وأمر جماعة بالديانة بتغيير أسماء أبنائهم محمد حتى ذكر له جماعة أن النبي ﷺ أدن لهم في ذلك وسامع به فتركهم .

قال القاضي: والأشبه أن فعل عمر هذا إعظام لاسم النبي ﷺ لئلا ينتهك الاسم كما سبق في الحديث { تسمونهم محمداً ثم تلعنونهم } ولعل سبب نهى عمر أنه سمع رجلاً يقول: لعمر بن زهد بن الخطاب: فعل الله بك يا محمد، فدعا عمر فقال: أرى رسول الله ﷺ سب بك، والله لا ندعى محمداً ما بقيت، وسماه عبد الرحمن أبا .

وحديث { تسمون أولادكم محمداً ثم تلعنونهم } رواه البزار وأبو يعنى وابن عدى والحاكم من حديث أنس، وهذا الحديث معدود في فوائد التسمية باسمه ﷺ مع دلالة على احترام الاسم الشريف وتوقيره .

وقال ابن سعد في الطبقات: أتانا مطرف بن عبد الله البجلي حدثنا محمد بن عثمان العمري عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ { ما سر أحدكم أن يكون في بيته محمد ومحمدان وثلاثة } وهذا مرسل .

وأخرج ابن أبي حاتم عن طريق ابن أبي ليلى عن جهم بن عثمان عن ابن جشوب عن أبيه عن النبي ﷺ قال { من تسمى باسمي يرجو بركتي هدت عليه البركة وراحته إلى يوم القيامة } وجهم جبه أبو حاتم، وضعفه الأزدى .

وروى ابن القاسم في سماعه، وابن وهب في جامعه عن مالك قال: سمعت أهل مكة يقولون ما من بيت فيه اسم محمد إلا نما ورزقوا، ورزق جيرانهم .

وللحافظ أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن عبد الله بن بكير البغدادي جزء مطبوع في فضل التسمية بمحمد وأحمد، وفي عزمي أن أحمد طبعه مع التعليق عليه بما يتم فوائد ويكمل مقصده مع بيان علل الأحاديث ونقد أسانيدھا، يسر الله ذلك وأعان عليه .

قوله: يقسم بهن أمته ما يرزقهم الله من معارف الخ يؤيد هذا العموم ويؤكد أمران: الأول: قوله إنما بعثت فاسحاً، وهو إنما بعث يقسم ما أوتي من الهدى والنور والعلم والعرفان، فأما قسم الله واللغاف فهو أمر ثانوي، إنما حصل بعد فرض الجهاد، والأمر بقتال المشركين بعد الهجرة .

الثاني: أنه ﷺ نهى عن غيره أن يكتفى بأبي القاسم وعلل النهي بأنه يقسم ولو كان المراد قسم الله والمقام، لم يكن لهذا النهي والتعليل معنى، لأن كل إمام وخلقة

يقسم المقاوم بين المجاهدين، كما كان يفعل عمر^١، وقهره من الخلعة.

ذلك هو المقرب في الشرع، فلو لا أنه **كَفَّلَ** اختص في القسم بشيء لم يشركه فيه غيره، لم يكن للنهي معنى كما ذكرنا، ولهذا خص جماعة من الصحابة بأنواع من العلوم، فاختص زهراء بنتي ثابت بالفراتين، ومعاذ بعلم الحلال والحرام، وأبياً وابن مسعود بعلم القرآن، وحذيفة بعلم أصول المذايبي وكشف أسرارهم، وأبا هريرة بهجرة هجرته من العلم بين أحدهما ولم يثبت الآخر مخالفة النقل كما في صحيح البخاري، وعلياً بعلم القضاء وعلوم أخرى (وسماه باب مدينة العلم) وهكذا كل صحابي له من رسول الله **ﷺ** باب من العلم أو أبواب، على قدر استعداده¹¹، ثم هو **ﷺ** بعد وفاته حتى في قبره تعرض عليه أعمال أمته فيستلقر لهم ويشفع كما سيأتي في الحديث السادس والعشرون، وللوفيقون من أفراد الأمة يشاهدونه ويسمعون كلامه، ويرون نوره سارياً في الوجوه، ويرون كل خير وأصل إلىهم عن طريقه، لا يبرتابون في ذلك لأنهم رأوه عياناً، خلقنا الله به حتى نزاك معرفة لقدر حق النبي الكريم والرسول العظيم، عليه أفضل الصلوات وأتم التسليم .



۲۶۔ حدیث: محمد ﷺ سید ولد آدم

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ { أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ وَأَوَّلُ شَاخِصٍ وَأَوَّلُ مُنْشَقِّ } رواه مسلم في صحيحه .

قال العلماء: قوله **﴿﴾** { يوم القيمة } مع أنه سيدهم في الدنيا أيضاً لأن في يوم

(١) قال أبو عبيد في الأسوال: أخبرنا عبد الله بن صالح، أخبرنا موسى بن علي عن أبيه عن حمزة بن عظيم بالجابية - مكان بالشام - فقال: من أراد القرن فليأت ثيباً، ومن أراد أن يسأل عن الفرائض فليأت زبداء، ومن أراد أن يسأل عن القلق فليأت معاذ، ومن أراد أن يسأل عن المال فليأتني، فإن الله جعلني حارساً ولأسماً.

(٢) لكل العلامة الدلالة المحقق أبو الفتح سعيد القوي في شرحه على "سطور الأعلام في معاني الإيمان والإسلام" لولي الدين أبي زهرة العراقي ما جاء: اعلم أن الله أخرج عالما اختراعها، وهما إلهامها. أشير إليهما بقوله تعالى ﴿إِلَهُ الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ﴾ (الأعراف: ٥٤) وقوله ﴿عَالَمُ الْغُيُوبِ وَالْغُيُوبِ﴾ (الأعراف: ٧٣)، لعالم الغيب هو عالم الملكوت، وعالم الملكوت هو عالم الاختراع، وهو عالم الأمر وهو العالم للعنوي، وهو عالم الملك، وعالم الملك هو عالم الملك، وعالم الملك هو عالم الإبداع وهو العالم السلي، وهو عالم الترك، ولكل عالم من هذه العوالم سر أودعه الله فيه لجمهور العظمة وجمهور القراء، وقد استودع الله مصطفاه ﷺ تلك الأسرار الإلهية وجعلها أمينا عليها، فيظهر على من أراد الله من أهله لاستفادتها، وما فعل له، ويطلب الناس على قدر عقولهم، أنه من تسخه عليها خط القيد والتحرير

القيامة تظهر سمات لكل الناس لا ينازعه فيها منازع بخلاف الدنيا، فقد نازعه في ذلك ملوك الكفار وزعماء الشركين، وهذا مثل قوله تعالى ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ إِلَهَ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ (الزمر: ٢٠) مع أن الملك له **يَكُنْ** قيل ذلك، وإنما قد بذلك اليوم لخصيص الكل وقد المنازع .

قوله: { أنا سيد ولد آدم } السيد هو الذي يفرع إليه الناس في الثواب والشداد فيقوم بأمرهم، ويحمل عنهم مكارهمهم، ويدفعها عنهم، وهكذا كان **يَكُنْ** في حياته، فكان يصل الرحم ويحمل الكل ويكسب المعدوم ويغري الضيف، ويعين على نواب الحق كما قالت السيدة **عليها** وكان إذا مات مسلم وعليه دين قسى عنه دينه، وإذا أتاه مملوك أهله، وإذا قحط الناس آتوه مستغنين مستغنين، كما قال عنه أبو طالب:

وأبيض يستسلي الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصاة للأرامل

وقال آخر:

لتيمنك والمترء يدمى لهاثها وأمن فرار الناس إلا إلى الرسل

وأما في الآخرة: فيفرع إليه أهل الموقف ليشفع إلى الله في إراحته من كرب ذلك اليوم وقوله .. وهو له، فيقول: { أنا لها .. أنا لها } فيذهب إلى العرش ليستأذن فيؤذن له، فإذا رأى الله سجد وحمد الله بحمده لم يحسنه بها أحد، فيدعه الله ساجدا حامدا ما شاء أن يدعه ثم ينديه { ارفع رأسك، وثق سمعك وسل تعطى واشفع تشفع } فيكون أول من يشفع وأول من تقبل شفاعته، ونهذه قال { أول شافع وأول مشفع } [يفتح الله المشددة] .

وقوله: وأول من ينشق عنه القبر. وذلك عند قيام الناس للموقف حين يفتح في الصور نقحة ثانية، كما قال تعالى ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَبَقَ رَبِّي السَّمَاوَاتِ وَفِي فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ ثم يُفِخُ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ فِيهَا يُفْطَرُونَ (الزمر: ٦٨) وإنما أخبر بأنه سيد ولد آدم لممثل قوله تعالى ﴿وَأَنَا بِنِعْمَةِ رَبِّي فَخَدْتُ﴾ (الحجر: ١١) ولهمين لأمله ذلك حتى يعلقوه ويعملوا بعتكاه فلا ينادونه أو يذكرونه بأسماء العجود كما يفعل الوهابية الجفاة وأمثالهم من مقلدة المستشرقين أعداء الله .

(١) الخليل في الستين من حور الليل هم حملة العرش، والليل: جبريل، والليل: ميكائيل، والليل ملك الموت، والليل: الجنة والحدود المعين، وكل هذه ألقاب حقيقة أو باطلة، الصحيح أن الستين هم الأنبياء والشهداء، فإنهم أحياء عند ربهم يرزقون، وإذا نفخ في الصور لا يسمعون، فكريها لهم وتجهلا بغيرهم

٢٢ - حديث: أن رسول الله أول الناس

من أنس عليه قال: قال رسول الله ﷺ { أنا أول الناس خروجاً إذا بُعِثُوا وأنا خطيبهم إذا وفدوا وأنا مبشرهم إذا أُبشروا لواء الحمد يومئذ بيدي وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر } رواه الترمذي وقال حديث حسن غريب. ورواه أبو النعمان في الدلائل ونقله { أنا أولهم خروجاً إذا بُعِثُوا وقائدهم إذا وفدوا وخطيبهم إذا أنصتوا وأنا شافعهم إذا حبسوا وأنا مبشرهم إذا أُبشروا الكرامة ومقاتلهم الجنة ولواء الحمد يومئذ بيدي وأنا أكرم ولد آدم على ربي بطوف على ألف خادم كأنهم نبيذ مكنون أو نزل منثور } .

قوله: { أنا أول الناس خروجاً إذا بُعِثُوا } أي: أقيموا من قبورهم، وهذا معنى قوله في الحديث السابق { وأول من ينشق عنه القبر } .

قوله: { وأنا خطيبهم إذا وفدوا } أي: على ربي، لأن العادة في وفود القوم على الملك: أن يتكلم أمامه زعيم القوم ووليسهم .

قوله: { وأنا مبشرهم } أي: بقبول شفاعتي عند الله، إذا أُبشروا من وجود شافع بعد توبيخهم على الأنبياء وقول كل نبي: نفسي .. نفسي .

والقوله: { لواء الحمد يومئذ } أي: راية الحمد يومئذ - يوم القيامة - بيدي، وذلك جرياً على العادة عند العرب أن اللواء إنما يكون مع كبير القوم ليعرف مكانه، قال الجاحظ السيوطي: وهذا لواء معزى، والمراد أنه يشهر بالحمد في ذلك اليوم أف . أي: لأنه بحمد الله بمحامد لم يحمد بها أحد قبله، ولأن أهل الموقف كلهم: آدم ومن موته يحمدون موقفه في الشفاعة العظمى التي اختص بها الله، ولهذا سمي أيضاً: صاحب المقام المحمود .

قوله: { وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر } أي: أكثرهم كرامة عنده، ولو فرهم منزلة لديه، ولا فخر: أي لا أقول هذا فخراً ولكن تحدياً بالنعمة وقهاياً بواجب التبليغ وإعلاماً للأمة ليزدادوا حباً لي وأنهاراً لستى .

قوله: في الرواية الثامنة { وأنا خطيبهم إذا أنصتوا } أي: من هيبة الله وجلال الموقف { وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا } (ف: ١٠٨) { يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا } (الشفا: ٢٨) .

قوله: { إذا حبسوا } أي: في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، وهم وقوف شاحسة أعمارهم ينتظرون ما يفعل بهم وما يتقل لهم .

قوله: { إننا أهلسوا } أى: أهلبوا بالإبلاس وهو الإنكسار والحزن من هم ذلك اليوم
قوله: { لواء الكرامة } هو ما يعطى فى ذلك اليوم من المزايا والمكرامات، ومفاتيح
الجنة كتابة عن عدم دخول أحد لها قبله .

قوله: { يطوف على ألف طابم } .. الخ، هذا بيان لبعض ما يعطاه فى الجنة،
والهمض [بفتح الهاء] بهى الخمام، ومعنى مكثون: مستور بريش لا يصل إليها هبار،
ولونه أحسن ألوان النساء، والثؤلؤ: معروف، ومعنى منتور: منتثر غير مجموع فى نظام،
وذلك أنهم يطوافهن عليه ولها من بخدمته أشبهن لؤلؤاً متفرقاً غير مجتمع، واقه أعلم



٢٣ - حديث: مثلى ومثل الأنبياء

عن جابر عن النبي ﷺ قال { مثلى ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى داراً فأتمها
وأكملها إلا موضع لبنة فجعل الناس ينخلونها وينتجرون منها ويقولون لولا موضع اللبنة،
قال رسول الله ﷺ قلنا موضع اللبنة جنت طشت الأنبياء } رواه مسلم فى صحيحه،
ورواه أيضاً من حديث أبى هريرة وأبى سعيد. ورواه الترمذى من حديث أبى بن كعب ورواه
فى آخره عن النبي ﷺ قال { إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين وخطيبهم وحاجب
شقايتهم خير } ثم قال: حديث حسن .

قوله: { مثلى ومثل الأنبياء } الترمذى من ضرب المثل تفهيم المواد للعقل، وتصويره
بصورة المحسوس، فإن الأمثال تصور المعانى بصورة الأشخاص، لأنها أثبت فى ذهن
لاستعانتها فيها بالحواس، ومن ثم كان الغرض من التمثيل تشبيه الخلق بالجلى والغائب
بالشاهد، قال الزمخشري: التمثيل إنما يمار إتيه للكشف المعانى، وإبناء المتوهم من المشاهد،
فإن كان المثل له عظم، كان المثل به مثله، وإذا كان حقيراً كان المثل به كذلك .. أم .

وقال الأسفهانى: ضرب العرب الأمثال واستحضار العلامة للفظاثر، شقن تيس
بالخلى فى إبراز خفيات الدقائق، ورفع الأسرار عن الحقائق، ترك المثل فى صورة
المتعلق، والمتوهم فى معرض التفتن، والغائب كأنه شاهد . أم .

فالمراد من ضرب المثل فى هذا الحديث بيان حلقه ﷺ مع حاش الأنبياء قبله، وذلك أن
الأنبياء السابقين هموا لتوهم خلاص، فكانت شرائعهم محدودة تناسب حالهم وذاهم، فمثلهم

في ذلك ملل فار بنيت وتم بنائها إلا أنه ينتقصها موضع لبنة، حتى جاء النبي ﷺ طائفاً للنبوة، وبعث بشريعته عامة لا يعترضها نسخ ولا تبدل، فكان مكانه من تلك الدار موضع اللبنة الناقصة، فيه تم بنائها وحسن مظهرها، واستقرت أوجه الكمال، ولهذا لم يبق الناس بعده في حاجة إلى نفس أو رسول، ويستفاد من الحديث جواز شرب المثل في العلم وغيره .

والويل: في الرواية الثانية { كنت إمام القبيص وخطيبهم وصاحب شفاعتهم غير فطر } [يفتح الفاء وكسر الخاء] أي: غير ملتزم بذلك، على ما سبق بهاته، والدارمي بإسناد رجاله لقوات من جابر { أنا قائد المرسلين ولا فطر، وأنا حاتم القبيص ولا فطر، وأنا أول ضائع وأول مشفع ولا فطر } وفي هذه الروايات دليل قطعي على الأئمة والملائكة، لأن هذه الضائل التي أصلها لم تعط لنبي ولا ملك، فكذلك وزاده تشريفاً وتعظيماً وتكريماً .

٢٤ - حديث: حوضي مسيرة شهر

عن عبد الله بن عمر بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ { حوضي مسيرة شهر ورواياه سواء - أي: طوله كمره - وناؤه أبهى من الزرق وريحه أطيب من المسك وكبرائه كلجوم السماء فمن شرب منه فلا يظمأ بعده أبداً }^(١)

قوله: { حوضي مسيرة شهر } أي: مسيره شهر طولاً وعرضاً وهذا كتابة عن طيبة وسعة .

قوله: { ماؤه أبهى من الزرق } [بكسر الزاء] أي: الفضة، وفي رواية: اللين

قوله: { كبرائه كلجوم السماء } . وفي رواية أخرى: { والذي نفس محمد بيده لأنتم أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها } .

قوله: { فمن شرب منه لا يظمأ بعده أبداً } أي: طمأ لم، ولكن يظمأ طمأ التذاد واشتداد . والظما: العطش .

قال القسسي عياض: ظهر هذا الحديث أن الشرب من الحوض يمكن بعد الحساب والنجاة من النار، فهذا هو الذي لا يظمأ بعده وقيل: لا يشرب منه إلا من قدر له السلامة من النار، ويحتمل أن من شرب منه من هذه الأمة وقدر عليه دخول النار لا يعذب فيها بالظما، بل يكون عنده غير ذلك .. أم .

(١) رواه البخاري ومسلم، وأحمد بن حنبل، وكثيراً بالذات مبلغ التواتر

قتهيه: أحاديث الحوض متواترة والإيمان به واجب كما نرى عليه القاضى عباس والنووى وغيرهما، وجمع الحافظ البيهقى فى كتاب (البعث والنشور) طرق حديث الحوض فأفاد، وأوصل الحافظ السيوطى عدد من رواه من الصحابة إلى خمسة وخمسين صحابياً، ذكر أسمائهم واحداً واحداً، مع عزو أحاديثهم وتخرجها فى كتاب (الأزهار المتناثرة فى الأحاديث المتواترة)، وأنكره المعتزلة، كما أنكروا الشفاعة والميزان^{١٢} لجهلهم بالصفة النبوية .. والله أعلم .

٢٥ - حديث: ما منكم من أحد

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ { ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجنة واليه من الملائكة } قالوا: وبذلك يا رسول الله؟ قال { ولئلا يأتى الله أعلمى عليه فأسلم فلا يأتىنى إلا بخير } رواه مسلم فى صحيحه .

قوله: { فأسلم } قال النووى: برطع المهم وفتحها، روايتان مشهورتان فمن رفع قال معناه: فأسلم أنا من شره وفتنته، ومن فتح قال: إن القرين أسلم من الإسلام، وصار لا يأتىنى إلا بخير، واختلفوا فى الأرجح منهما .

فقال الخطائى: الصحيح انطثار الرفع - ورجح القاضى عباس الفتح - وهو المختار لقوله ﷺ { فلا يأتىنى إلا بخير } واختلفوا فى رواية الفتح، فهل أسلم بمعنى: استسلم وانقاد، وقد جاء هكذا فى غير صحيح مسلم: فاستسلم، وقيل معناه: صار مسلماً مؤمناً، وهذا هو الظاهر .

قال القاضى: وأعلم أن الأمة مجتمععة على صحة الشيء ﷺ من الشيطان فى جسمه وخاطره ولسانه .. أن .

قلت: الصحيح المراجع ما رجحه عباس والنووى: أنه أسلم من الإسلام^{١٣} لما رواه

(١) وقد قدم مبتدع أزهري، فأنكر الميزان فى محاضرة له، كما لك فى كلمة له نشرت بمجلة الرسالة: إن الشيطان قدم الشر الكائنة فى النفس، وله غير هذا طلمات ومضات، أراد بها الشهرة والظهور على حساب العلم والدين، وكم له فى الأزهريين من نظير .

(٢) روى الطحاوى فى مشكل الآثار حديث ابن مسعود كما فى صحيح مسلم، وروى عن طريق مجاهد عن الشعبي عن جابر قال: لك لا أنبئ ﷺ لا تدخلوا على النبيات - جمع مطهية وفى التراجم انتهى لهاب منها زوجها بسلر قوبله - فإن الشيطان يجرى من أحدكم بجرى الدم { قالوا: ومنك يا رسول الله؟ قال { أومنى ولكن الله أعلمى عليه فأسلم } . وروى أبى إسحاق عاتكة قالت: فحدث رسول الله ﷺ ليلة، وكان نبي على فراشه، فوجدوه باجتماع، وحدثت الحديث - قالت: فلما سمع

البزار عن أبي هريرة مرفوعاً { فطقت على الأشياء بهمتين : كان شيطاني كافراً فأعانتني الله عليه حتى أسلم ، وثمنت الأخرى {

واللهي في الدلائل بإسناد ضعيف ، عن ابن عمر مرفوعاً { فطقت على آدم يخصلتين كان شيطاني كافراً فأعانتني الله عليه حتى أسلم ، وكان قزواجي عوناً له ، وكان شيطان آدم كافراً ، وزوجه عوناً على خطيئته { وعلى هذا مرج أصحاب الخصائص بعدوا من خصائصه على إسلام قريته ، وفي الحديث الإخبار بوجود الثوب مع كل واحد لتحترق من سوسه وفنته ، والله المستعان على ذلك وبالله التوفيل .

٢٦ - حديث : حياتي خيراً لكم

عن ابن مسعود أيضاً عن النبي ﷺ قال { حياتي خير لكم تحبسون ويحدث لكم رؤيتي خير لكم تفرغن على أعمالكم فما رأيت من طير خمدت الله وما رأيت من شئ استغفرت الله لكم }^(١)

قوله : { حياتي خير لكم } أي : طيرها طيراً لكم ، تحدثون - بضم التاء وسكون الحاء وكسر الفال - أي أمور وأخبار ، مما لم يكن لها حكم ، ويحدث لكم - بضم الهاء وفتح

ب- انصرف قال { يا هائلة أظفرك شيطانك؟ } فقلت : أما لك شيطان؟ قال { ما من آدمي إلا وله شيطان } فقلت : وأنت يا رسول الله؟ قال { وأنا ولكنني دعوت الله فأعانتني عليه فأسلم } - قال الطحاوي : فوفينا بهذا على أن رسول الله ﷺ كان في هذا المعنى كسائر الناس ، وقد أظهروا بإسلامه ، فعلم في السلامة منه بطلاقة غيره من الناس ، ثم قال الطحاوي : فإن قيل فأنزل : قد روي في هذه الباب شيء يجب التوقف عليه لربح الظاهر مما خص به من إسلام شيطانه ، ثم أسند من حديث صفوان الأنصاري : أن رسول الله ﷺ كان إذا أخذ مضجعه من الليل قال { بسم الله وضعت جنسي اللهم أغفر قبيح وأطع شيطاني ولك رهنائي وأقتل ميزاني واجعلني في الندي الأعلى } فإن له : هذا سنداً - والله أسلم - كان من رسول الله ﷺ قبل إسلام شيطانه ، فلما أسلم استحل أن يدعو ﷺ فيه بذلك ، مع إسلامه الذي هو عليه .. أم - وهو جمع جيد .. وأخذ أعلم .

(١) رواه البزار بإسناد جوده الحافظ الصريحي ، وصححه الحافظ الهيثمي والجلال السيوطي والشهاب السبكي . ورواه إسحاق بن إسحاق القاضي في كتاب الصلاة على النبي ﷺ من حديث بكر بن عبد الله المزني مرسلاً بإسنادين صحيح إحداهما الحافظ بن عبد الهادي القمي ، وله مع هذا طرق كثيرة ، وعرض الأعمال عام لجميع المسلمين إلا طائفة من العصاة والبدعة من سبل الطغاة بنفوذ الوهم فيهم لا تعرض أعمالهم عليه ، وإذا تعلم يوم القيامة إلى حوضه ، قيل له : لا تدري ما أحدثوا من عندك ، فيقول { سحلاً لمن يدل يمدى .. سحلاً لمن يدل يمدى } كما جاء في الصحيحين من طرق ، وبهذا يفتق الحديثان ، ولا يدعى بهلها تعارض البتة ، أما ترجمع إحداهما على الآخر مع إمكان الجمع فهو جائز لأنه إلقاء لأحد الدليلين لقبير مقتضى ، وهو حرام كما نص عليه العلماء .

الدال المخففة - أي: يحدث الله لكم من الأحكام بشر ما حدث منكم مما يقتضي ذلك.

قوله: { ووفاني خير لكم } أي: فيه خير لكم ثم بين ذلك الخير بقوله { تعرض علي أعمالكم } وهذا لفظ عام يشمل عرض الأعمال من جميع الأمة إلا من كان مرتعاً أو كائلاً، هيئاً بالله تعالى، وهذا يستلزم حمايته في قبره، لأن العرض يقتضي ذلك عقلاً، لما رأيت من خير حمدت الله عليه وسرت به، وما رأيت من شراً استغفرت الله لكم، أي: طلبت المغفرة لكم من الله، وفيها تحريض على ترك المعاصي بطريق لطيف، لأن من علم أن عمله معرض على تبيده، اجتهد أن يسره وألا يحوجه إلى الاستغفار من عمله، وقد ذكرت هذا الحديث بإسناده، وأوردت بعض الطرق للزيادة له في كتاب [الرد المحكم للثلاثين] فليراجع^(١).

٢٧ - حديث: إلا نسبي ونسبي

عن جابر أنه سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول للناس حين تزوج ابنة علي رضي الله عنه: ألا تهنوني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول { ينقطع يوم القيامة كل نسب ونسب إلا نسبي ونسبي }^(٢).

قوله: { ينقطع يوم القيامة كل نسب ونسب } وذلك لقوله تعالى { فإذا نفضَ أبا العور فلا ألناب بينهم يؤفَّقون ولا يتساءلون } [الإسراء: ١٠١].

قوله: { إلا نسبي ونسبي } أي: فإنه موصول غير موصول، وهذا من خصائصه صلى الله عليه وسلم كما ذكره الحافظ السيوطي في [الخصائص الكبرى] ولهذا حرص عمر بن الخطاب رضي الله عنه على زواج ابنة علي رضي الله عنه واسمها أم كلثوم، ليكون له من رسول الله صلى الله عليه وسلم نسب معارة يناد بها القرب منه يوم القيامة، وفي هذا دليل على فضل أهل البيت وأن نسبهم موصول في الدنيا والآخرة، وإن في الانساب إليهم ومنازلتهم شرفاً وعلواً، وليس بين هذا الحديث

(١) ثم أفرقته مجزءاً بحيث [نهاية الأمل في صفة وشرح حديث عرض الأعمال] وهو مطبوع، ولما أطلع عليه شقيقنا الحافظ أبو القيس - رحمه الله - كتب إلى يقول: لك فيه مثل قم الحافظ الذهبي والكتاب حلق طبعه لكتبة للذاهرة.

(٢) رواه الطبراني والبرقاني، وقال الحافظ الهيثمي: رجاله رجال الصحيح، غير الحسن بن سهل وهو ثقة، قلت: وصححه أيضاً التاج السبكي في أول طبقات الخليفة الكبير، ولحديث مع هذا طريق عن عمر وابن عباس والصور بن مخرمة وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمر وشيوخهم. وقد أوردت هذه الطرق في كتابي [الرد المحكم للثلاثين] وجمعت بينهما وبين حديث الصحيحين (أي: بها قاعدة أعني فإني لا أمتني عنك من الله شيء) {

وحديث لاطمة^(١) { أعملى الخ } ، تعارض أصلاً كما بينته في [الرد المحكم للمتن] من ثلاث أوجه ، وبينت قسداً ما يزعمه الوهابية الجهلة أعداء أهل البيت النبوي الشريف ، فليراجعوا من أراد ، والله ولي التوفيق والسداد .

٢٨ - حديث : إنزال الملائكة تقاتل معه

عن سعد بن أبي وقاص مروي قال : (رأيت عن يمين رسول الله ﷺ ومن يساره يوم أحد رجلين عليهما ثياب بيض يقاتلان عنه كأحد القتال ما رأيتهما قبل ولا بعد) يعني جبريل وميكائيل عليهما السلام ، رواه البخاري ومسلم .

قوله : عليهما ثياب بيض [بكسر الباء - وفي رواية أخرى : ثياب بهاض] قال

(١) لقب الحديث (بها لاطمة بنت محمد صلواتي من ماله ما شئت أنتقي نفسك من النار فإني لا ألقى منك من الله شيئاً) وهذا طرف من حديث طويل ، ثبت في الصحيحين وغيرهما ، وحاصل الجمع بينه وبين حديث الترجمة من وجوه ثلاثة :

الأول : أن هذا الحديث أظهر الحقيقة ، فإنه ﷺ لا يعني عن أحد من الله شيئاً ولا يملك لأهله ولا لغيرهم ثياباً ولا خيراً ، وهذا لا ينافي أن الله يملكه نفع أقربيه وجميع أمته بالشفاعة الطائفة والعلية ، وقد فعل لأعطاه عدة شفاعات ، كما ثبت في الأحاديث الكثيرة في الصحيحين وغيرهما ، فهو لا يملك إلا ما يملكه له عز وجل ﷺ ، وقد ملكه الله شفاعة وضيعة من المكربات ، ذكر هذا للنفى : الحافظ للمحب الطبري في ذخائر القصص في مناقب ذوي القربى .

الثاني : أن هذا الحديث كان قبل أن يعلم الله أنه ينفع يوم القيمة رحمه وأقربيه بالانتساب إليه من غيره ، فذكره السبيل السمووي في جواهر القديين ، ويؤيده أن الحديث ورد عند نزول قوله تعالى (وَأَنْفِرْ خَيْبَرُكَ الْأَقْرَبِينَ) (الشعراء : ٢١٤) وكان ذلك بمكة في أوائل هجرة النبي ﷺ .

الثالث : أن يكون المقصود من الحديث تحذيرهم من الشرك ، وأنه لا يملك لهم من الله شيئاً إن أشركوا . أو لشرك من كان منهم مشركاً على إشراكه ، لأن الشرك لا حيلة في الشفاعة ، ويؤيد هذا أيضاً :

١ - أن الجانب لأقربيه كانوا إذ ذاك مشركين ، كما يعلم سبب ورود الحديث .

٢ - أنه وجه الخطاب إلى جميع أقربيه مؤمنين ومشركين ، فوجب أن يكون على وثيرة واحدة وهي التحذير من الشرك كما هو واضح .

٣ - ما ثبت في الصحيح في قصة وفاة أبي طالب أن النبي ﷺ قال له { أي عم قل لا إله إلا الله كشة أحج لك بها عند الله } فأنار هذا الحديث أنه يملك نفعه ويحاج عنه إذا هو مات على التوحيد ، وقد روى أحمد والحاكم والبيهقي من طريق عبد الله بن محمد عقيل عن حمزة بن أبي سعيد الخدري عن أبيه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول على الشجر (ما بال رجال يقولون إن رحم رسول الله لا تنفع يوم القيمة) بلى والله إن رحمى موصولة في الدنيا والآخرة ، وإنى أيتها النفس فرط لكم على الحوض { فهذا الحديث ورد بلفظه ، وقد أنكر فيه النبي ﷺ على من زعم أنه لا ينفع رحمه ولا يملك الشفاعة لهم ، ولقد أن رحمهم موصولة في الدنيا والآخرة ، وأنه يجلب هذا ينفع أمته أيضاً ، حيث يكون قريبا لهم على الحوض وهذا يلزم ما قررناه ، والحمد لله .

التورى: فى هذا الحديث بيان كرامة النبى ﷺ على اقد تعالى، واكرامه إياه بإتزال الملائكة مقاتل معه، ويهان أن الملائكة يقاتل^(١)، وأن قتالهم لم يختص بيوم بدر، وهذا هو المصواب، خلافاً لمن زعم اختصاصه، فهذا صريح فى الرد عليه، وفيه فضيلة الثياب البيض، وأن رؤية الملائكة لا تختص بالأنبياء، بل يراهم الصحابة والأولياء، وفيه منقبة لسعد ابن أبي وقاص الذى رأى الملائكة ..

ولقد رأى جماعة من الصحابة جبريل ﷺ فى صورة حية منهم: ابن عباس وعائشة وأم سلمة، وكانت الملائكة تسلم على عمر بن الخطاب حتى اكلوى، ثم لما زال أثر الكى علمت إلى السلام عليه كما بينته فى كتاب [الحجج البينات فى إثبات الكرامات] وبالله التوفيق .

٢٩ - حديث: أتى باب الجنة يوم القيامة

عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ (أتى باب الجنة يوم القيامة فاستفتح فيقول الخازن: من أنت؟ فيقول: محمد، فيقول: بك أمرت إلا أفتح لأحد قبلك)^(٢)

قوله: (فيقول بك) أى: بسببك، ولأجلك أمرت، أى: أمرنى الله ألا أفتح باب الجنة لأحد قبلك، لا من الأنبياء ولا من غيرهم، فهو أول من يفتح باب الجنة، وأول من يدخلها، هذا من خصائصه ﷺ كما ذكره العلماء^(٣).

٣٠ - حديث: أن رسول الله ﷺ أجود الناس بالخير

عن ابن عباس مرفوعاً قال: كان رسول الله ﷺ أجود الناس بالخير وكان أجود ما يكون فى شهر رمضان، إن جبريل ﷺ كان يلقاه فى كل سنة فى رمضان حتى يتسلىخ، فيعرض عليه رسول الله ﷺ القرآن فإذا نجا جبريل كان رسول الله ﷺ أجود بالخير من النرجس للرسالة^(٤) وفى الصحيحين لهذا عن جابر بن عبد الله قال: ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط فقال: لا .

(١) وأنهم متعمدون بخرقة النبي ﷺ، وهذا أحد الأئمة على أنه أرسل إلى الملائكة .

(٢) رواه مسلم فى صحيحه .

(٣) وهذا الحديث: رواه مسلم فى كتاب الإيمان فى صحيحه، ورواه الإمام أحمد أيضاً، وهو لول حديث فى الجامع الصغير، والجامع الكبير للحافظ السيوطى . وعلمه أعلم .

(٤) رواه البخارى ومسلم .

قوله: أجود ما يكون في شهر رمضان، روى برفع أجود ونصبه، قال النووي: والرفع أصح وأشهر، وفي هذا الحديث كما قال النووي فوائد منها: بيان عظم جوده **كَلَّمَ**. واستحباب إكثار الجود في شهر رمضان، وزيادة الجود والخير عند ملاقات الصالحين. وعقب فراقهم للتأثر ببقائهم، ومنها: استحباب دراسة القرآن. **أهـ**.

وفي زاد المعاد لابن القيم ما نصه: كان رسول الله **كَلَّمَ** أعظم الناس صدقة بما ملكته يده. وكان لا يستكثر شيئاً أعطاه الله تعالى ولا يستقله، ولا يسأله أحد شيئاً عنده إلا أعطاه قليلاً كان أو كثيراً، وكان عطائه عطلة من لا يخطئ الفتر، وكان السطاء والصدقة أحب شيء إليه، وكان سروره وفرحه بما يعطيه أعظم من سرور الأخذ بما يأخذه، وكان أجود الناس بالخير، يمينته كالريح المرسلة، وكان إذا عرض له محتاج أشرف على نفسه تارة بطعامه، وتارة بلباسه، وكان يتنوع في أصناف عطائه وصدقاته، فتارة بالهبة، وتارة بالصدقة، وتارة بالهدية، وتارة بشراء الشيء، ثم يعطى البائع الثمن. وأسلمة جميعاً. كما فعل بجابر، وتارة كان يقتريه الشيء فيرد لأهل منه، أكثر وأكبر، ويشتري الشيء فيعطى أكثر من ثمنه، ويقبل الهدية. ويكافئ عليها بأكثر منها، أو بأضعافها تليفاً وتنوعاً في شروب الصدقة والإحسان بكل ممكن، وكانت صداقته وإحسانه بما يملكه، وبخاصة وبهولة. فيخرج ما عنده ويأمر بالصدقة ويحضر عليها ويدعوا إليها بحاله.

وقوله: فإذا رآه النبي السحيف الضعيف دعاه حالي إلى البيت والعطاء. وكان من خالقه وسعيه يرى أي هدية لا يملك نفسه من المساحة والندى، وكان هديه **كَلَّمَ** يدهوا إلى الإحسان والصدقة والمعروف. ولذلك كان **كَلَّمَ** أنشج الخلق صدراً وأطيبهم نفساً وأنعمهم قلباً. فإن للصدقة وفي المعروف تأثيراً عجيبياً في شرح الصدور، وأخفيف ذلك إلى ما خصه الله به من شرح صدره لشهوة، والرياسة وخصائصها ونواحيها، وشرح صدره حباً وإخراج حظ الشهوات منه. **أهـ**. وهو نفيس جداً.

قوله: ما سئل رسول الله **كَلَّمَ** شيئاً لم **يَقُلْ**: لا، معناه كما قال العلماء: بأنه إذا كان عنده شيء اصطفاً للسائل، وإن لم يكن عنده سكت، أو وعد بالعطاء، ولا يقول: لا، لما في هذه الكلمة من قطع طمع السائل وكسر حظيره، وما كان من خلقه **كَلَّمَ** قطع رجاء من أمه، أو ربه خائباً.

حاشاه أن يحرم الراجي مكارمه أو يرجع الجار من غير محتوم

وإذا كان الغريب يقول في علي زين العابدين **كَلَّمَ**:

ما قال: لا قط إلا في تشهد لولا التشهد كانت الآية نعم

فما هناك بالنبي ﷺ ؟ فإن قول هذا يخلو قوله تعالى ﴿ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا اتَّوُوا بِغُدُوهُمْ قَلَّتْ لَا أُجِدُّ مَا أُحْمِلَكُمْ عَلَيْهِ ﴾ (نساء: ١١) حيث أثبتت الآية الكريمة قد ما أُلِّد هذا الحديث، فالجواب: أنه لا منافاة بينهما لأن الآية لم تكف له قول " لا " المجردة العامة على عدم الإطاعة، وإنما أثبتت قول " لا " للقرينة بالعمل المضارع الدال على الحال، أي: لا أجد الآن ما أُحْمِلكم عليه، وارجو في المستقبل، فهو على معنى العدة كما لا يخلو... والله أعلم.

٣١ - حديث: أكثرُوا من الصلاة

عن أبي الدرداء ع قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ أَكثِرُوا مِنَ الصَّلَاةِ عَلَى يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَإِنَّ يَوْمَ مَشْهُودٍ تَشْهَدُ الْمَلَائِكَةُ وَإِنْ أَحَدًا لَنْ يُصَلِّيَ عَلَى إِلَّا عُرِضَتْ عَلَى صَلَاتِهِ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْهَا ﴾ قال: قلت وبعد الموت؟ قال ﷺ ﴿ إِنْ أَلَّهِ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَكُنْ أَجْمَعًا الْأَنْبِيَاءُ ﴾^(١).

ولأحمد وأبي داود وابن ماجه من حديث أرس ابن أوس قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ مِنْ أَفْضَلِ أَعْمَالِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِمَنْ خَلَّقَ تَمَّ وَلِمَنْ قُبِضَ وَلِمَنْ الْفُحَّةُ وَفِيهِ السُّعَّةُ فَأَكْثِرُوا عَلَى مِنَ الصَّلَاةِ لِمَنْ صَلَاتُكُمْ مَشْرُوعَةٌ عَلَى ﴾ قالوا: يا رسول الله وكيف تعرض عليك صلاتنا وقد أُرْسَتْ؟ - معنى: بليت - فقال ﴿ أَنْ أَلَّهِ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَكُنْ أَجْمَعًا الْأَنْبِيَاءُ ﴾ صححه ابن حبان والحاكم.

قوله: ﴿ أَكثِرُوا مِنَ الصَّلَاةِ عَلَى يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَإِنَّ يَوْمَ مَشْهُودٍ تَشْهَدُ الْمَلَائِكَةُ ﴾ أي: يأتون أبواب المساجد ويكتبون الأول فالأول حتى إذا خرج الإمام طُوروا الصحف وقعدوا يستمعون الذكر^(٢).

قوله: ﴿ وَإِنْ أَحَدًا عَلَى لَنْ يُصَلِّيَ عَلَى إِلَّا عُرِضَتْ صَلَاتُهُ ﴾ من أول ما ينطق بها حتى يخرج منها - بأن تبلله الملائكة إليه فيدعوا المصلين عليه ويستغفرون لهم، كما جاء في

(١) رواه ابن ماجه والطبراني بإسناد جيد، ورواه ابن القري من طريق آخر، وزاده في آخره من كلام النبي ﷺ ﴿ فَنُصِيَّ اللَّهُ حَتَّى يَمُوتَ ﴾.

(٢) أي: الخطبة، وهو يقرأ ذكر الله في آية الجمعة، فالسعي إلى خطبة الجمعة واجب، ولا عبرة بمن قال خلاف ذلك. والحديث يفيد أن الملائكة متعبدون بحضور خطبة الجمعة.

حدثت عمر هند ابن بشكوال، والحكمة في تخصيص كثرة الصلاة عليه بيوم الجمعة أنه الفضل الأهم، كما صح في الحديث وهو أفضل المخلوقات، فكانت بينهم مناسبة ظاهرة .

قوله: { إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء } كناية عن عدم لحوق البهلي لأجسادهم الشريفة، مهما تطاول عليهم الزمان .

قوله: { فتبى الله حتى يرد } هذا مأخوذ من القرآن الكريم، فإن الله تعالى قال { وَلَا تُحْسِنَنَّ الصَّيِّئَاتِ الَّذِينَ قَبِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَالًا بَلْ أُحْيَاءُ بِهِمْ دِينُهُمْ يُرْزَقُونَ } فرحين بما تشاقم الله بين فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم } (سورن: ١٦٩-١٧٠)، والأنبياء أولى بهذا من الشهداء إجمالاً، وفي الصحيح: أن النبي ﷺ مر ليلة الإسراء على موسى وهو قائم يصلي في قبره، أخرجه مسلم عن أنس ولأبي يعلى بإسناد صحيح عن أنس مرفوعاً { الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون } وفي الباب أحاديث ذكر الحافظ للبيهقي جملة منها في جزء حياة الأنبياء، وهو مطبوع، بل بلغت في الكثرة إلى حد التواتر كما نص عليه الحافظ السيوطي [في مرقاة المرقاة حاشية سنن أبي داود] وفي [إنباء الأذكياء بحياة الأنبياء]: وأخرجها شيخ بعض شيوخنا العلامة المحدث أبو عبد الله السيد محمد بن جعفر الكنتاني في كتابه [نظم المتفائر من الحديث التواتر] وذكر القرطبي ووافقه ابن القيم: أن حياة الأنبياء في قبورهم مقطوع بها، وبذلك لتواتر أحاديثها كما بينا، ولاتعماد الإجماع عليها حكاه ابن حزم في المحلى - والحافظ السخاوي في القول البديع في الصلاة على الحبيب أشبهه - وأقر كتابي [الرد المحكم المتن] فقد حررت فيه هذا البحث تحريراً وافياً .

قوله: في حديث أوس: { فيها خلق آدم } الخ، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة مرفوعاً { حشر يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه دخل الجنة وفيه أخرج منها } ولأحمد وابن ماجة بإسناد حسن عن أبي لهابة بن عبد المقتر مرفوعاً { أن يوم الجمعة سيد الأيام وأعظمها عند الله وهو أعظم عند الله من يوم الأضحي ويوم النحر وفيه خمس خلائ: خلق الله فيه آدم، وأهبط الله فيه آدم إلى الأرض، وفيه توفي الله آدم وفيه ساعة لا يسأل الله فيها العبد شيئاً إلا أعطاه إياه ما لم يسأل حراماً، وفيه تقوم الساعة ما من ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا آفة ولا ريح ولا جبال ولا بحر إلا وهن يشقن من يوم الجمعة } ولابن خزيمة وابن حبان عن أبي هريرة مرفوعاً { لا تطلع الشمس ولا تغرب على أفضل من يوم الجمعة وما من دابة إلا وهي تنزع يوم الجمعة إلا هذين الثقلين الجن والإنس } .

قوله: { نرست } - يفتح الهمزة والراء - أي: صرت ربيعاً، وإنما قلوا ذلك لعدم

عليهم بما خص الله الأنبياء بعد وفاتهم، فأخبرهم ﷺ أن الأنبياء لا يملكون، فهو ﷺ حتى في قبور الشرف تعرض عليه أعمال أمته ومنها صلاتهم عليه، وإذا سلم عليه أحد رد عليه السلام كما ثبت في أحاديث أخرى، وروى البيهقي في جزء حياة الأنبياء عن سليمان بن محبوب قال: رأيت النبي ﷺ في القوم قلت: يا رسول الله هؤلاء الذين يأتونك لمسلمون عليك أطلقه سلامهم؟ قال: (نعم وأرد عليهم) وروى أبو نعيم عن سعيد بن أنس قال: لقد رأيتني ليلال الحرة، وما لي بمسجد رسول الله ﷺ فمري، وما يأتي وقت صلاة إلا سمعت الأذان من القبر، وللزهر بن بكار في أخبار المدينة عن سعيد نحوه.

قوله: صححه ابن حبان والحاكم. قلت: قال الحاكم بعد أن روا هذا الحديث صحيح على شرط البخاري: وسلك الحافظ الذهبي.. والله أعلم.

تنبيهات

الأول: قال القاضي عياض: أعلم أن الصلاة على النبي ﷺ فرض على الجملة غير محدد بوقت لأمر الله تعالى بالصلاة عليه، وحمل الأئمة والعلماء له على الوجوب^(١) وأجمعوا عليه.. أحب والواجب منها تكفي فيه مرة واحدة، وما زاد عليها فهو مندوب مرغوب فيه لأنه من شعار الإسلام، وأما الصلاة عليه في التشهد الأخير من الصلاة فذهب الثعالبي إلى وجوبها وقال: تبطل الصلاة بتركها، ووافقه محمد بن الوائز من أئمة المالكية، وتعب جمهور العلماء إلى أنها سنة لا تبطل الصلاة بتركها.

الثاني: تسن الصلاة على النبي ﷺ في سائر الأزمان والأمكنة، لكن تتأكد في حالات خاصة وريت بها السنة مثل يوم الجمعة كما ذكر في حديث الترجمة، قال الحافظ ابن حجر: تتأكد الصلاة على النبي ﷺ في مواضع ورد فيها أخبار خاصة أكثرها بلسان عبد الله بن عباس:

- ١ - إجابة المأذن . ٢ - وأول الدعاء . ٣ - وأوسطه .
- ٤ - وآخره وأوله أكد . ٥ - وأخر القنوت . ٦ - وفي أثناء تكبيرات العيد .
- ٧ - وعند دخول المسجد . ٨ - والخروج منه . ٩ - وعند الاجتماع .
- ١٠ - الطلوع . ١١ - وعند السفر . ١٢ - والتقدم .

(١) قال بعض الطرفين:

ولنا له صلاة عليه عظيماً
صلوا عليه وسلموا تسليماً

لقد علم قمر جنة محمداً
في محكم التنزيل قبل ليلته

- ١٣- والقيام لصلاة الليل . ١٤- وخدم القرآن . ١٥- وعند الكرب والهم .
 ١٦- قراءة الحديث . ١٧- وتبليغ العلم . ١٨- والذكر .
 ١٩- ونسيان الشيء .

وورد أيضاً في أحاديث ضعيفة:

- ١- عند استلام الحجر . ٢- وطنين الأذن . ٣- وعقب الوضوء .
 ٤- وعند الذبح . ٥- والعطاس .

وورد المنع منها مندهما أيضاً .. أم:

ومن المواضع التي تتأكد فيها أيضاً:

- ١- التشهد الأول في الصلاة . ٢- بعد التكبيرة الثانية في صلاة الجنازة .
 ٣- وفي خطب الجمعة والعيد . ٤- وعند ذكره .
 ٥- وعند الخروج إلى السوق أو دعوة . ٦- وعند رؤية المساجد والمروء عليها .
 ٧- وعند كتابة اسمه الشريف . ٨- وفي أول النهار وآخره .
 ٩- وعقب الذنب . ١٠- وإذا أراد تكبيره .
 ١١- وعند حصول القتر أو خوف حصوله . ١٢- خطبة النكاح .
 ١٣- وعند دخول المنزل . ١٤- وعند عروض الحاجة . وأريد قضاؤها .
 ١٥- وعند النوم . ١٦- كل كلام خير ذي هاء .
 ١٧- وفي الصلاة إذا مر ذكره حال التراويح . ١٨- وإذا أراد الشخص الصدقة ولم يكن
 وفي غير التشهد . عنده ماله .

وقد نكر الحافظ ابن القيم في [جلاء الإلهام] والحافظ السخاوي في [التوليد] هذه المواضع مع إيراد ما ورد فيها من الآثار . وكلا الكتابين مطبوعان .

الثالث: قال أبو العالمة: معنى صلاة الله تعالى على نبيه تنزه وتعظيمه، ونقل القاضي عياض عن بكر الشيرازي قول: الصلاة على النبي من الله تشريف، وزيادة تكرامة، وعلى من نون النبي رحمة، وقال الحلبي في [شعب الإيمان] هو كتاب نفيس ينقل منه البيهقي كثيراً في كتّاب الأسماء والصفات: أما الصلاة في اللسان فهي التعظيم، ونكر كلاماً في هذا المعنى إلى أن قال: فإذا قلنا اللهم صل على محمد، فبما نريد اللهم عظم محمداً في الدنيا بأعلاء ذكره وإظهار دينه، ونهياه شريعته وفي الآخرة بتشجيته في أمته . واجزأ أجره ومثوبته . وإبداء فضله للأولين

والآخرين بالمقام المحمود، وتتقدمه على كافة المقربين الشهود .. أهـ .

قال الحافظ: ولا يكرر عليه عطف آل وأزواجه وذريته عليه . فإن لا يستتم أن يدهى لهم بالتعظيم، وإن تعظيم كل أحد بحسب ما يليق به .. أهـ .

وأما تفسير الصلاة عليه بالرحمة أو المنفرة فقد أبطله ابن القيم، وخطأ قائله من عدة وجوه قوية ذكرها في [جلاء الإقهام] .

قال القاضي عياض رحمه الله في معنى السلام عليه ثلاثة وجوه:

الأول: السلامة لك ومعك ويكون السلام معديراً كاللذاز والمفائدة .

الثاني: السلام على حفظك ورعايتك مثول له وكتيل به، ويكون السلام مقام اسم الله تعالى

الثالث: أن السلام بمعنى السلامة له والانتباه كما قال تعالى ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُخَرِّجُوكَ فِيمَا ضَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾ [البقرة: ١٧٥] .. أهـ .

الرابع: قال الشيخ مصطفى التركماني في شرح مقدمة أبي الليث ما نصه: فإن قيل ما الحكمة في أن الله تعالى أمرنا أن نصلّي عليه، ونحن نقول: اللهم صل على محمد، فنسأل الله تعالى أن يصلّي عليه ولا نصلّي عليه نحن بأنفسنا، يعني أن يقول المعيد: أعلّي على محمد؟ قلنا: لأنه ﷺ طاهر لا عيب فيه، ونحن فيها المعاييب والنقائص: فكيف يثنى من فيه معاييب على طاهر؟ فنسأل الله تعالى أن يصلّي عليه، لتكون الصلاة عن رب طاهر على نبي طاهر، كنا في الرفيقتين .. أهـ .

ومن حكمة ذلك أيضاً كما ذكره أبو اليمن ابن عساكر وغيره: أننا لا نبلغ قدر الواجب من تلك ولا نفرق ما يليق به، فوكلناها إلى الله تعالى لأنه يعلم ما يليق بنبهه . فهو كتوبه ﷺ { لا أحصى ثناء عليك } ومباحث الصلاة عليه ﷺ من حيث فضائها ومواسمها وطوائفها وغير ذلك واسعة منتشرة، أفردت بتأليف عديدة، ومن أحسنها وأجمعها [جلاء الإقهام في الصلاة والسلام على خير الأنام] لابن القيم، وأجمع منه كتاب [القول المبدع في الصلاة على الحبيب الشليخ] للحافظ السخاوي، وهو كتاب نفيس لا يستغنى عنه، وقد جمع النبهاني في مقامه هذين الكتابين وغيرهما في كتاب [سعادة الدارين] فجاء كتاباً حافلاً - رحم الله مؤلفه وجزاه عن صنعه خير الجزاء - وباقه التوفيق .

٣٢ - حديث: ما ضرب رسول الله ﷺ

عن عائشة رضي الله عنها قالت: [ما ضرب رسول الله ﷺ شيئاً قط بيده ولا امرأة ولا خادماً إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شيء من محارم الله فينتقم الله ﷻ] رواه مسلم في صحيحه .

قوله: [ما ضرب رسول الله ﷺ شيئاً قط بيده ولا امرأة ولا خادماً] فيه دليل على حسن خلقه وكريم طبعه وكثرة حلمه، وفي الصحيح عن أنس [كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً] وقال أنس أيضاً [خصمت رسول الله ﷺ تسع سنين فما أهلكه قال لي لم فعلت كذا وكذا، ولا عاب علي شيء قط] والخبر عن حلمه ﷺ وسيره وصفوه عند المنفرة أكثر من أن يحصر، ويكفي دليلاً على ذلك قوله تعالى ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (النم: ١) .

قوله: [إلا أن يجاهد في سبيل الله] فيكون الضرب حينئذ في طاعة الله ومصلحته.

قوله: [إلا أن ينتهك شيء من محارم الله] وهذا استثناء منقطع، وللعلمى: لكن إذا انتهك شيء من محارم الله انتصر لله تعالى، وأنتقم ممن ارتكب ذلك فيكون منتقماً لله لا لنفسه، وفي الحديث استحباب الرق واللين والحث على العفو والحلم، واحتمال الأذى وترك الحرب الزوجة والطام وإن كان سباحاً، والانتصار لدين الله تعالى، وعدم التساهل مع من ارتكب محرماً ونحوه، وإنه ينبغي للأئمة والقضاة والولاة أن يتخللوا بهذا الخلق الكريم، فلا ينتقمون لأنفسهم ولا يتساهلون في حق الله تعالى، إلى غير ذلك مما بهتة العلماء . . والله أعلم .



٣٣ - حديث: ما مسحت حريراً ولا ديباجاً ألين من كف رسول الله ﷺ

عن أنس قال [ما مسحت حريراً ولا ديباجاً ألين من كف رسول الله ﷺ، ولا قميصاً منكاً ولا غنيراً أطيب من ريح رسول الله ﷺ] رواه البخاري ومسلم .

وفي صحيح مسلم عن أنس أيضاً قال: دخل علينا رسول الله ﷺ فقال هتفا - نام نوم القملولة - فعرق، وجئت أنسى بظارورة فجعلت أمسح العرق فاستيقظ النبي ﷺ فقال [يا أم سليم ما هذا الذي تصنعين؟] قلت: هذا عرق نجمله لطيفاً وهو أطيب الطيب .

قوله: [ما مسحت حريراً ولا ديباجاً] الخ، فيه دليل على لين منه وطيب ريحه ومرقه، قال الثوري: قال العلماء: كانت هذه الريح الطيبة صفته ﷺ وإن لم يمس طيباً.

ومع هذا فكان يستعمل الطيب في كثير من الأوقات مبالغة في طيب ريحه لملاقاة الملائكة ،
وأخذ الوحي الكريم ومجالسة المسلمين .. أهـ .

وفي صحيح مسلم أيضاً من طريق آخر عن ابن عباس قال : كان رسول الله ﷺ أزهر اللون
كان عرقه اللؤلؤ إذا مشى تكفأ ، ولا مسمت بهاجة ولا حريرة ألين من كلف رسول الله ﷺ
ولا شممت مسكة ولا هنبر أطيب من رائحة رسول الله ﷺ .

وقوله : { دخل علينا رسول الله ﷺ فقال عندنا } .. الخ ، معناه ظاهر وله طريق
آخر في الصحيح أيضاً ، وللدارسي والبيهقي وأبي نعمان عن جابر قال [كان في رسول الله
ﷺ خصال ثم يكن في طريق فيتبع أحد إلا عرف أنه ملكه من طيب عرقه أو عرقه - يفتح
العين ، أي : ريحه - ولم يكن يمر بحجر ولا شجر إلا سجد له] .

وأخرج أبو يعلى والطبراني في الأوسط عن أبي هريرة قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ
فقال : يا رسول الله إني زوجت ابنتي وأحب أن تميتني ، قال { ما عندي شيء ولكن أتني
بقارورة واسعة الرأس وعمود شجرة } فأتاه بهما فجعل النبي ﷺ يمسح العرق من راحتيه
حتى امتلأت القارورة قال { فطعها وورأبتك لن تفسد هذا المود في القارورة وتطيب
به } فكانت إذا تطيبت به يشم أهل المدينة رائحة ذلك الطيب ، فسموا بيت المتطيبين .

وروى عندهما في الصحابة والخطوب في المؤلف من طريق أبي بكر بن عياش عن حبيب
بن حسرة عن حوش - بفتح الحاء الهجلة - قال : كنت مع أبي حنيفة رجم النبي ﷺ ما عزا فلما أخذته
للحجارة ، أرعدت لخصي النبي ﷺ إليه ، فسأل علي عن عرقه قال : مثل ريح المسك .

وفي صحيح مسلم عن جابر بن سمرة قال : صليت مع رسول الله ﷺ صلاة الأولى^(١)
- أي : الظهر - ثم خرج إلى أهله ، فخرجت معه فاستقبله ولدان - جمع ولید - أي : صبيان ،
فجعل يمسح خدي أحدهما واحداً واحداً قال : وأما أنا فمسح خدي فوجدت ليدته برذاً
أورهما كأنما أخرجهما من جرة عطار ، والجرة - بضم الجيم وبالهيمز - وعنده : سلة
مستديرة يجعل العطار فيها ما عنده من الطيب .

وروى ابن الأثير في جزء القبل عن أسامة بن شريك قال : أتيت رسول الله ﷺ وعنده
أصحابه على رؤوسهم الطير ، فجاء الأعراب فسألوا رسول الله ﷺ ، لم قم وقام الناس فجعلوا يقولون
يعد ، فأخذتها فوضعتها على وجهي ، فإذا هي أطيب من ريح المسك وأبرد من الثلج ، إسفانه قوي .

(١) هذا أصل لما اعتاد أهل العرب من إطلاق لفظ الأولى على الظهر .

وفي صحيح مسلم عن أنس قال: كان النبي ﷺ يدخل بيت أم سليم فينام على فراشها ولمست فيه: فجاءت يوم فنام على فراشها فالتفت - بكسر التاء الأولى - فقيل لها هذا النبي ﷺ لم في بيتك على فراشك، فجاءت وقد عرق واستنقع عرقه على قطعة أديم - يوزن عظيم - على الفراش فتقحت عتيديها - بفتح العين، صنفوق صغير شجمل المرأة فيه ما يحز من متاعها - فجعلت تتشقق ذلك العرق فتعصره في ثوابرها ففرغ - فاستنظت - النبي فقال (ما تصنعين يا أم سليم) فتألت: يا رسول الله نرجو بركته لصبياننا. قال (أصبحت) وفي هذا الحديث استعجاب النبوك بآثاره ﷺ وقد وردت في ذلك أحاديث كثيرة في الصحيحين وغيرهما .. والله أعلم .



٣٤ - حديث: لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ { لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من ولده، ووالده والناس أجمعين } رواه البخاري ومسلم .

قوله: { لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده } الخ . قال القاضي عياض وابن بطال وغيرهما: المحبة ثلاثة أقسام :

- ١ - محبة إجلال وإعظام كمحبة الوالد .
- ٢ - محبة رحمة وشفقة كمحبة الولد .
- ٣ - ومحبة مشاكلة واستحسان كمحبة سائر الناس .

فجمع ﷺ أصناف المحبة في محبته أم .

وقال الخطابي: لم يرد بالحديث حب الطبع، بل أراد به حب الاختيار. لأن حب الإنسان لنفسه طبع ولا سبيل إلى قلبه . فمعنى الحديث: لا تعقد لي حبي حتى تنفني في طاعتي نفسك وتؤثر رفاي على هواك، وإن كان فيه هلاكك .. أم .

وقال ابن بطال: معنى الحديث: أن من أتمكمل الإيمان علم أن حق النبي ﷺ أكد عليه من حق أبيه وأبيه والناس أجمعين: لأن به ﷺ استنقنا من النار وهدينا من الضلال .. أم .

وقال القاضي عياض في شرح مسلم: ومن محبته ﷺ نصرة سنته " والذنب عن

(١) فالله أعلم الذين يمدحون الموالاة أنتمهم على الحديث ويبحثون في تأويل النصوص وتحليلها لتوافق ...

شريعته وتمشي حُجُور حياته بهيئته نفسه وباله دونه ، قال : وإذا تبين ما ذكرناه تبين أن حقيقة الإيمان لا تتم إلا بذلك ، ولا يصح الإيمان إلا بتحقيق إعلاء قدر النبي ﷺ ومنزلته على والد رولد ومحسن ومفضل ، ومن لم يعتقد هذا واعتقد سواه فليس بمؤمن .. أهـ .

وفي صحيح البخاري عن عبد الله بن هشام أن عمر بن الخطاب قال للنبي ﷺ : لآنت يا رسول الله أحب إلى من كل شيء إلا نفسي التي بين جنبي : فقال النبي ﷺ { إن يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه } فقال عمر : والذي أنزل عليك الكتاب لآنت أحب إلي من نفسي التي بين جنبي ، فقال له النبي ﷺ { الآن يا عمر } " رواه البخاري في كتاب { الإيمان والتفويض } .

وروى ابن إسحاق في السيرة واليهيقي في البلائق : أن امرأة من الأنصار قتل زوجها وأطوعها وزوجها يوم أحد مع النبي ﷺ فقالت : ما فعل رسول الله ﷺ ؟ فلقوا خيراً هو بحمد الله كما تحبون ، فقالت : لمؤننه حتى أنظر إليه ، قلنا ونحه قللت بكل مصيبة بعدك جلاله أي : صغيرة .

وقال علي عليه السلام : كان رسول الله ﷺ أحب إلينا من أمواتنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا ومن الماء البارد على النار .

قال سهل ابن عبد الله التستري : من لم ير ولاية الرسول عليه في جميع الأحوال ، ولم يرى نفسه في ملكه ﷺ ، لا يذوق حلاوة سنته ، لأن النبي ﷺ قال { لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه } الحديث .. أهـ .

وقال الفرطبي . كل من آمن بالنبي ﷺ إيماناً صحيحاً لا يخلوا عن وجدان شيء من تلك المحبة الراجحة ، إلا أنهم متفاوتون فمنهم من أخذ من تلك المرتبة بالحظ الأولي ، ومنهم من أخذ بالحظ الأمتي ، كمن كان مستغرقاً في الشهوات محجوباً في الغفلات في أكثر الأوقات ، لكن الكثير منهم إذا ذكر النبي ﷺ اشتال إلى رؤيته بحيث يؤثرها على أهله وباله وولده وبهئله نفسه في الأمور الخطيرة ، ويجد رجحان ذلك من نفسه وجداناً لا تردد فيه . وقد شوهد من هذا الجنس من يؤثر زيارته قبره ورؤية مواضع آثاره على جميع ما ذكر لنا وقر في قلوبهم من محبته ﷺ ، غير أن ذلك سرّيع الزوال لتوالي الغفلات .

وما أحسن قول ابن أبي السجد :

ألا يا محب المصطفى زد حباية وشمع لسان الأكر منك بطيبة

— منهم . لا يحبون النبي ﷺ وإن دعوا محبته ولسانهم .

{ ١ } أي : الآن تم إيمانك يا عمر .

ولا تمنان بالمبطلين فإتما علامة حب الله حب حبيب

والكلام في محبته ﷺ بحر واسع تقتصر من جواهره على ما تلتقطه . وما توليها إلا بالله .

٣٥ - حديث: والذي نفس محمد بيده

عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ انه قال { والذي نفس محمد بيده لا يرفع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار } رواه مسلم في صحيحه .

قوله: { والذي نفس محمد بيده لا يرفع بي أحد } الخ، معناه واضح وفيه دليل على أمور :

أحدها: جواز القسم على الأمور المهمة لتأكيد ما وثبتتها في ذهن السامع

ثانيها: أن الإيمان به موقوف على بلوغ الدعوة، فلو فرض وجود شخص في بعض المجاهل لم تبلغه دعوة الإسلام يكون معشوراً على الصحيح المقرر في علم الأصول .

ثالثها: نسخ الملل كلها برسالة ﷺ وهذا ثابت بالقرآن والسنة المتواترة وإجماع الأمة لم تكفه كافر ولا خلاف .

رابعها: أن الإيمان به ﷺ شرط أساسي في النجاة من النار، فكل من لم يؤمن به بخ النار حائفاً فيها أبداً، قال تعالى { ومن يفتع غير الإسلام بعباً قلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين } وفي سورة ١٠٠ وبهذا نطقت السنة المتواترة وانعقد عليه إجماع الأمة، فلا حظ لليهودي ولا نصراني في دخول الجنة أبداً، ومن شك في هذا ليس مسلماً . وبالله التوفيق .

٣٦ - حديث: حرم رسول الله ﷺ

عن المقدم بن معدي كرب قال: حرم رسول الله ﷺ أن يشهد يوم خيبر من العمار الأصلي والعمري، ثم قال ﷺ { يؤسفك أن يعخذ الرجل بكنك هني لم يكتبه يحدت بحديثي فيقول: يمتني ويمنكم بكتاب الله فما وجدنا فيه خلافاً استحللناه وما وجدنا فيه حراماً حرمناه، وإن ما حرم رسول الله ﷺ مثل ما حرم الله } رده أبو داود والبيهقي بإسناد صحيح

وهي رواية للبيهقي { ألا لئى أوتيت الكتاب ومثله ألا يوثيك رجل شيطان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه ألا لا يحل لكم الخبائر الأخرى } الحديث .

وهي مسند أبي يعلى عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ { عسى أن يكذبني رجل منكم وهو متكبر على أريكته بمثله الحديث على فيقول ما قال رسول الله هذا، دفع هذا وهما ما في القرآن } وللحديث طرق .

قوله: { حرم رسول الله ﷺ أشياء يوم خيبر من الحمار الأهلي وغيره } وروى أحمد عن أبي هريرة: أن النبي ﷺ { حرم يوم خيبر كل ذي ناب من السباع والمجمعة - يظم الجهم وفتح الثاء المشددة، كل حيوان يمسك ويجعل لعضاً للرأس حتى يموت - والحمار الأنسى } صححه الترمذي .

ولأحمد والترمذي بإسناد لا بأس به عن جابر قال: حرم رسول الله ﷺ معنى يوم خيبر لحوم الحمر الإسيمة ولحوم البغال وكل ذي ناب من السباع وكل ذي مطلب - بكسر الميم وفتح اللام - من الطير، زاد في حديث الثوري ابن سارية عند أحمد بإسناد لا بأس به (تحريم الحلية) وهي يظم الميم وسكون اللام (الفرصة) - يستلذها الرجل من اللذات أو السبع فتصوت في يده قبل أن يذكها، فهذه الروايات ما أبرهته رواية حديث الترجعة .

قوله: { يوثيك أن يقدم الرجل منكم على أريكته } أي: سريره، يحدث: بالبناء للمجهول، أي: يحدثه أحد يحدثني فيقول: يثنى ويهينكم كتاب الله . الخ، هذا من أهلام النبوة فقد وقع ما أظير به ﷺ، وظهر مبتدعة ملحدة منكرون الحديث النبوي عملاً واحتجاجاً، ويؤمنون أن الحجة في القرآن خاصة، فلن ذكرت لهم قوله تعالى ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ﴾ (ممتعة ٧) قالوا: يعنى في القرآن لا في غيره . وهكذا كل آية فيها الأمر بطاعة الرسول يحملونها على طاعته في القرآن فقط، ومنهم من يحتج لهذا الرأي الفاسد بحديث { ما جاءكم عنى فاعرضوه على كتاب الله فما وافقه فامضوا به وما طالفه فامضوا به } وهذا حديث مكشوب . قال الشافعي: ما روى هذا أحد ينبت حديثه في شيء صغير ولا كبير، وإنما هي رواية منقطعة من رجل مجهول .

وقال يعلى بن معين: هو حديث موطوع، وضعته الزنادقة، وقال عبد الرحمن بن مهدي: الزنادقة والخوارج وضعوا حديث { ما آتاكم عنى فاعرضوه على كتاب الله } وقال

اليهوتي في المدخل: هذا حديث باطل لا يصح، وهو ينعكس على نفسه بالبطلان، فليس في القرآن دلالة على حوز الحديث على القرآن.

وقال الحافظ بن عبد البر في كتاب [العلم]: هذه الألفاظ لا تصح عن النبي ﷺ عند أهل العلم بصحيح النقل من سلفه، وعارض ابن حزم فقال: عرطنا هذا الحديث على كتاب الله بخالفه لأننا وجدنا كتاب الله تعالى يقول ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ [النساء: ٥٧]، ووجدنا فيه ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٣١]، ووجدنا فيه ﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ [النساء: ٨٠] وقد أوردت طرق هذا الحديث الباطل، وبنيت عليها في كتاب [الاحتجاج بتخريج حديث النهاج] في الأصول.

وقال الشوكاني في إرشاد الفحول: اتفق من يعتقد به من أهل العلم على أن السنة المطهرة مستقلة بتشريع الأحكام، وإنها كالقرآن في تحليل الحلال وتحريم الحرام.

وقد ثبت عنه ﷺ أن قال ﴿ أَلَا وَنَسِيَ آوَيْتِ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ ﴾ أي: آوَيْتِ الْقُرْآنَ وَأَوَيْتِ مِثْلَهُ مِنَ السَّنَةِ الَّتِي لَمْ يَنْطِقْ بِهَا الْقُرْآنُ، وذلك كتحریم لحوم الحمر الأهلية وتحريم كل ذي ناب من السباع ومخلب من الطيور وغير ذلك، مما لم يأت عليه الحصر.

قلت: وقد اتفقت إجماع الأئمة والعلماء على العمل بالسنة المطهرة والاحتجاج بها في أصول الفقه وفروعه، إلا ما كان من بعض المبتدعة الزنادقة الذين يريدون أن يفرقوا بين الله ورسوله ويقولون: تؤمن ببعض ونكفر ببعض، فإنهم خرجوا عن إجماع المسلمين ولزوا السنة ونقضوها وأعرضوا عنها، فتعدى الأئمة الرد عليهم، وبيان زيفهم وضلالهم، للإمام الشافعي في ذلك كلام طويل جميل، ذكره في رسالة ولله اليه في المدخل. وعنى عليه بما يؤيده من الأحاديث والآثار، فتراند حسناً على حسن، وللإمام أحمد بن حنبل كتاب خاص في الرد عليهم، وفي كتاب العلم للحافظ ابن عبد البر باب خاص في هذا المعنى، ذكر فيه من نصوص الأئمة ما فيه الكفاية.

والحافظ السهوي رسالة [مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة] وهي مطبوعة، ذكر فيها أنها ألفها بسبب الغرض الذي سمعته يقول: أن السنة لا يحتج بها، وإن الحججة في القرآن خاصة، وهي رسالة مفيدة قيمة.

والقاضي عياض في [الخفاء]: فصل حسن هذا المعنى وكنا في (الواهب اللدنية) وقبرها، والمقصود: أن السنة أصل من أصول الدين، لا يتم الإسلام إلا بالأحكام التيها والاستسلام لها كما قال تعالى ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ لَمْ

قال في الحديث الآخر { وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه } .

قوله: { ألا أنى لو نيت الكتاب ومثله معه } في رواية أخرى { ومثله معه } بالثنية، أى: لو نيت مثل القرآن من السنة كما تقدم في كلام الشوكلى، وذلك أن الوحى نوحان: مثله هو القرآن الكريم، وغير مثله وهو الحديث الشريف، فطاعتها واجبة على كل مسلم .

قوله: { يبلغه الحديث عنى فيقول ما قال الرسول هذا } الخ، فيه دليل على أن نفى ورود الحديث لا يكون عذراً فى ترك العمل به، بل بعد تكذيبها له إلا إن دلت القواعد الحديثية على عدم صحته، فحينئذ يكون المرء فى حل من تركه: ومن هنا تعلم ضلال ما عليه مبتدعة اليوم - وفيهم كثير من الأزهرين - من تخلصهم من السنة وفرارهم من العمل بها، وحقق غيرهم على إلغائها بقولهم: هذا حديث خبر صحيح، أو يخالف العقل، أى: عقلهم القاصر، أو يخالف العلم الحديث، أو هذا آحاد والمطلوب التواتر، أو طرق الحديث مضطربة أو هذا من الإسرائيليات، وتحر هذا مع الأخبار الواهية التى يتخذونها ذريعة إلى رد السنة النبوية. مع أن أهل الأزهر لا يعرفون الحديث ولا يميزون بين صحيحه وسقمه، ولا بين مقبول ومردود، بل هم أبعد الناس عن هذا العلم الشريف وأجهلهم به، ولو اطلعت على متكرراتهم فى المصطلح والرجال وشرح أحاديث الأحكام، لرأيت فيها من فضائح الجهل ما يضحك الكللى ويسلى الحزين، ولهذا، أكثر فيهم من يبتغى الحديث الشريف وينامسه المداء، ويدعوا إلى إهماله وعدم الاهتمام به، ويصرح بذلك فى غير خجل ولا استحياء، ولا عجب فى ذلك قديماً قيل { من جهل شيئاً ناداه } وإنما العجب أن يعمشوا على حساب الدين فى وقت يحاربون فيه سنة صاحب الدين. إن هذا لهو منتهى العجب ! فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

== (التحريم: ١) أن التحريم يطلق بمعنىين:

أحدهما: منع الشيء شرعاً بحيث يثم فعله، وهذا هو المراد فى التحريم، لأن النهى كذا لما وجد الصحابة يوم طهر يطيطون لحوم البحر الأهلية، أنهم باهزال ما فى الذبور وأخبرهم أنها لا تحل لهم فسارت حراماً كتحریم الليلة المنسوجة فى القرآن .

والثانى: الامتناع من الشيء مع إباحته لسبب غير شرعى، وهذا هو المراد فى الآية فإن النهى كذا لمتنع من حريان مارية ليرضى زوجته حفصة، فعاتبه الله على أن منع نفسه مما أباحه الله له . لبتنة، مرسلاً أزواجه، وهذا مثل قوله تعالى { وَخَرُفْنَا عَلَيْهِمُ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ } (التكوى: ١٢) فإن موسى كذا كان رضىها لا يعلق به تكليف لكنه امتنع من قبول المراضع، حتى جاءت أمه فالتقم ثديها

(١) كذا بالخطوط، ويهدوا لأن فيه سخطاً تقديره: ومع أن بعضاً من أهل الأزهر ... الناشر .

٣٧ - حديث: أوتيت مفاتيح كل شيء

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: { أوتيت مفاتيح كل شيء إلا الخسر } إن الله جليلة علم الساعة ويذكر الموت ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله جليلة علمهم أخبر { رواه أحمد والطبراني بإسناد صحيح .

وفي الصحيحين عن حذيفة قال: قام فيها رسول الله ﷺ مقاماً ما ترك فيه شيئاً إلى قيام الساعة إلا ذكره، حفظه من حفظه، ونسيه من نسيه، إنه ليكون منه الشيء قد كنت نسيته فلراه فذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه، ثم إذا رآه عرفه

قوله: { أوتيت مفاتيح كل شيء } أي: من العلوم والمعارف وسائر المقربات، قال القاسمي عياض في الشتاء في فصل ما أطلع عليه من الغيوب ما نصه: والأحاديث في هذا الباب بحر لا يدرك لعمري، ولا يشرف لعمري، وهذه المعجزة من جملة معجزاته المعلومة على القطع الواصل إلينا طبرها على التواتر لكثرة رواياتها واتفاق معانيها على الإطلاع على الغيب .. نعم. ثم أورد جملة منها فليراجع .

وأخرج الطبراني عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ { إن الله قد رفع لي الدنيا فلما أتتني إليها وإلى ما هو كائن فيها إلى يوم القيامة كأنما أنظر إلى كلى هذه } وقد أخبر النبي ﷺ بكثير من أحوال هذا العصر ومخترعاته، جمعها شقيقنا الحافظ أبو الليث رحمه الله في كتاب [مطابقة الاختراعات العصرية بما أخبر به سيد البرية] وهو طبع مكتبة القاهرة .

قوله: { إلا الخسر } إن الله جليلة علم الساعة ويذكر الموت ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله جليلة علمهم أخبر { وفي صحيح البخاري عن ابن عمر مرفوعاً [مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله: لا يعلم أحد ما يكون في القدر إلا الله، ولا يعلم أحد ما يكون في الأرحام إلا الله، ولا يعلم أحد متى تقوم الساعة إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت، إلا الله، ولا تدري أحد متى يحيى المير إلا الله] ومتنفي هذا أنه لم يكن ﷺ يعلم الخمس، والله نحب الجمهور، ولكن قال الحافظ السيوطي في الخصائص الكبرى: نحب بعضهم إلى أنه ﷺ لم يدرى علم الخمس أيهاً وعلم وقت الساعة والروح وأنه أمر بكم ذلك .. فنتمى، وبه جزم كثير من المتأخرين .

ولالإمام منصور الهادي في هذا الموضوع كتاب اسمه [إجابة سواعد المنقول والمقول على إحاطة علم تبيين الرسول] ومالك الشيخ أبو العباس أحمد بن عبد الحى الحلبي العلامة

المحدث عبد الملك بن محمد التجموحي قاضي سجلماسة عن هذه المسألة فأجاب: برسالة خاصة سماها [ملل الطالب وجواب أستاذ حلب] حزم فيها بأنه **لَا** كان يعلم الخمس .

والشيخ أحمد رضا علي طاب الهيلوى الهندي في هذا الموضوع ثلاث رسائل: [مالى الجيب بعلوم الذهب] [اللؤلؤ للكنون في علم البشير ما كان وما يكون] [إنهاء المحطى بما أسر وأحلى] .

وطال العلامة أبو عبد الله محمد الحبيب ابن عبد القادر السجلماسي الحمصي في شرح منظومة الأسماء الحسنى للهلال: يجب علينا أن نعتقد أنه **لَا** لم يخرج من الدنيا حتى حصل له العلم بجميع المعلومات، للحديث الصحيح { أوتيت علم كل شيء وتجلي لي كل شيء } وما ورد مما يخالفه، منوع بهذا، وبه تظهر مزيمته وفضيلته العلمية على سائر الأنبياء، بعد اشتراكهم في علم الذهب المستثنى لهم في آية { **لَا** يُظهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا } [**إِلَّا مَن لَّرَافُضِي مِّنْ رَّسُولٍ**] (سجدة ٢٧) قال فيهم بعض المفسرين: يريد أو ولى . لأن الولي وارث العلم عن النبوة .. أهـ .

وفي شرح أنموذج الذهب للعلامة شمس الدين محمد بن محمد بن عبد الروضى القنص ما نصه: الصحيح كما قاله المعتقون أنه **لَا** أوتى علم كل شيء حتى الخمسة وحتى علم السور وأمر بكم ذلك .. أهـ . ونحوه في شرح الجوهرة اللقاني لمؤلفها، وشرح الأربعين النووية للشيخ رهنى وغيرهما، وفي فروع الدين بشرح الجامع الصغير للعلاني في الكلام على حديث { **خمس لا يعلمهم إلا الله** } الخ، ما نصه: خمس لا يعلمهم إلا الله على وجه الإحاطة والشمول، كلياً وجزئياً، فلا يخفى فيه إطلاق الله بعض خواصه على كثير من المميزات حتى من هذه الخمس، لأنها جزئيات معدودة، وإن كان المتمثلة في ذلك مكابرة .. أهـ .

قلت: والذي أرجحه وأميل إليه أنه **لَا** لم يخرج من الدنيا حتى علمه أنه هذه الخمس لأنه لم يزل يترقى في العلوم والمعارف كل يوم . بن كل لحظة وعلوم الحاضرات يشهد بذلك .

منها حديث البخاري عن أسماء بنت أبي بكر: أن النبي **ﷺ** حمد الله وأثنى عليه ثم قال { ما من شيء لم أكن أريته قبل إلا رأيت في ملائكتي هذا حتى الجنة والنار } وهذه الخطبة كانت بالمدينة .

ومنها حديث حمزة بن جندب قال: كنت الخمس، فعلى النبي **ﷺ** ثم قال { إني والله لقد رأيت منذ فئت فعلى ما أنتم لاقوه من أمر بنيانكم وأخلاقكم } حديث صحيح رواه أحمد وغيره .

ولا ينافيه قوله في حديث الترجمة { إلا الطمس } لأنه كان قبل أن يعلمها، ثم علمها بعد ذلك، وهذا كما نهى عن تفضيله على موسى وهرون وإبراهيم عليهم السلام، ثم أخبر أنه أفضل الأنبياء، ورد على من دعاه سيداً بأن السيد الله، ثم أخبر أنه سيد ولد آدم، وأمره الله تعالى في القرآن أن يقول للكفار { مَا كَانَ لِي مِنْ عِلمٍ بِالْعَلَىِّ إِذْ يَخْتَصِمُونَ } (ص: ١٠٤) ثم أخبر بعد ذلك أن الله أطلعه على خصامهم.

وفي حديث ابن عباس ومعاذ وغيرهما عن النبي ﷺ قال { رأيت ربي في أحسن صورة فقال يا محمد، قلت: لبيك رب وسعديك، قال: أندرى لهم يختصم اللأه الأعلى؟ قلت: لا أندرى يا رب، فقال فوضع يده بين كفتي حتى وجدت بردها في صدري فتجلى لي كل شيء وعرفت { وذكر الحديث وهو في سنن الترمذي وسند أحمد وغيرهما بطرق متعددة، وهو حديث صحيح^(١)، وقد تكلمت عليه في [قمع الأشرار عن جريمة الانتحار] المطبوع للناسخ مكتبة القاهرة مع [الأربعين النارية] وشرحه الحافظ بن رجب في جزء مطبوع اسمه [اختيار الأعلى في شرح حديث اختصام اللأه الأعلى] وهذا الحديث أحد الأدلة على علمه بالطمس أيها، لأن قوله { فتجلى لي كل شيء } عام بل هو أقوى صريح الصوم، كما تقرر في الأصول.

قوله في حديث حذيفة: { قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً ما ترك فيه شيئاً إلى قيام الساعة } يعني من الفتن والحوادث وغيرها إلا ذكره، الحديث. نحوه قول عمر: { قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً فأخبرتنا عن بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم، حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه } رواه البخاري معلقاً بهيئة الجزم، ووصله الطبراني، وقال أبو نر: لقد تركنا رسول الله ﷺ وما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علماً، رواه أحمد والطبراني بإسناد صحيح، وكذلك قال أبو الدرداء، رواه أبو يعلى والطبراني وغيرهما ... والله أعلم.

٣٨ - حديث: إن أعمى كانت

عن ابن عباس قال: إن أعمى كانت له أم ولد على عهد رسول الله ﷺ فكثرت الوقعة في رسول ﷺ وتكلمه فقتلها الأعمى، فلذكر ذلك للنبي ﷺ فقال النبي ﷺ { أشهد أن منها

(١) نقل الترمذي عن البخاري أنه قد ثبت حديث صحيح.

خزُّ { رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَهَذَا لِلَّهِ ، وَلِي سَنَنُ أَبِي دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ ، وَاللُّغْظُ لِلدُّوَلِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : (كُنْتُ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى رَجُلٍ ، فَاسْتَقْدَّ عَلَيْهِ فَقُلْتُ : لِمَنْ لِي بِمَا خَلِيفَةُ رَسُولِ اللَّهِ أَضْرِبَ عُنُقَهُ ، قَالَ : فَانْهَيْتُ كَلِمَتِي فَخُصِبَ فَلَمْ يَدْخُلْ ، فَأَرْسَلَ إِلَيَّ وَقَالَ : مَا الَّذِي قُلْتَ أَتَقْنَأُ ؟ قُلْتُ : لِمَنْ لِي أَضْرِبَ عُنُقَهُ ، قَالَ : أَكُنْتُ مُأْمَرًا لَوْ أَمَرْتُكَ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ : لَا وَاللَّهِ مَا كَانَتْ لِي بِشَيْءٍ يَعْزِزُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ) صححه الحاكم ، وابن تيمية

قوله : { إِنْ أَهْمِي كَانَتْ لَهُ أُمٌّ وَلَدٌ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَكْثُرُ الْوَلِيَّةُ فِيهِ .. الخ } وفي سنن أبي داود وسنن ابن بطيعة عن الشعبي عن علي بن أبي طالب أن يهودية كانت تشتم النبي ﷺ ، وتقع فيه فختلها رجل حتى ماتت ، فأهدى رسول الله ﷺ عنها ، وجاء في رواية : أن الرجل كان أهني .

قال ابن تيمية في كتاب [الصارم للسلول على شاتم الرسول] وهذا الحديث نص في جواز قتلها ، يعني : اليهودية ، لأجل شتم النبي ﷺ ، ودليل على قتل الذمى ، وقتل المذموم والصامة إذا سب بطريق الأول .. أه . وقال أبو بكر ابن المنذر : أجمع هوام أهل العلم على من سب النبي ﷺ يقتل ، ومن قال ذلك ملك بن أمية ، وأحمد وأبو حنيفة وهو من متعبد الشافعي . أه .

وقال القاضى هلالى فى [الشفاعة] : أعلم أن جميع من سب النبي ﷺ أو عابه أو الحق به نقصاً فى نفسه أو لسيبه أو دينه أو خصلته من خصاله أو عرض به أو شيبه بشيء على طريق السب له أو الإزراء عليه أو التصغير لشأنه أو القس منه والتهيب له ، فهو ساب له والحكم فيه حكم الساب ، يقتل كما نبينه

ولا نستثنى فضلاً من أصول هذا الباب ، وعلى هذا المقصد ، ولا تغرى فيه ، نصريحاً كل من تلوهجاً ، وكل ذلك من إسنه أو دعا عليه أو تمن بشرة له أو نسب إليه ما لا يليق بمنصبه على طريق الذم ، أو عيب في جهته العزيرة بسلف من الكلام ، وهو مستكر من القول وزور ، أو هيرة بشيء مما جرى من البلاء والمحنة عليه ، أو نسيبه ببعض العوارض البشرية الحائرة والمعجزة لديه ، وهذا كله إجماع من العلماء وأئمة الفتوى من لدن الصحابة إلى علم جر .. انتهى .

وقال الإمام محمد بن سفيان : أجمع العلماء أن شاتم النبي ﷺ والمشتك له كافراً ، والوصيد جار عليه بمذنب الله له ، وحكمه عند الأمة القتل ، ومن شك في كفره وعذابه كفر .. انتهى .

وقال الإمام ابن هتتاب: الكتاب والسنة مرجهان فمن قصد النبي ﷺ بأذى أو نكص معرهما أو مصرحاً وإن قل فقتله واجب .. انتهى .

وسمع رجل قوماً يتذاكرون صلة النبي ﷺ إذ مر بهم رجل قبيح الوجه واللحية فقال لهم: تريدون تعرفوا صفته؟ هي في سنة هذا المار في خلقه ولحيته، فأفتى الإمام ابن أبي زيد القيرواني بقتله وعدم قبول توبته .

وأفتى الإمام أبو الحسن القاسبي فحين قال في النبي ﷺ يتيم أبي طالب أنه يقتل .
وفتاوى العلماء ونصوصها في هذا كثيرة ^(١) .

قوله: { كنت عند أبي بكر لتفيط على رجل } الخ، لهذا الأثر طرق عند النسائي وغيره: وروى قاسم بن أصبغ في مصنفه، ومن طريقة ابن حزم عن أبي هريرة قال: أفلط رجل لأبي بكر الصديق، قلت: ألا اقتله؟ فقال أبو بكر رضي الله عنه: ليس هذا إلا لمن شتم النبي ﷺ، وروى أيضاً عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب أنه كان على الكوفة لعمر بن عبد العزيز فكتب إلى عمر: إني وجدت رجلاً بالكوفة يسبك وقامت عليه البيعة، فهدمت بقتله أو قطع يده أو قطع لسانه أو رجله، ثم بدا لي أن أراجعك فيه، فكتب إليه عمر بن عبد العزيز سلام عليك، أما بعد: والذي نفسي بيده لو قتلته لقتلتك به، ولو قطعته لقطعتك به، ولو جلده لجلدته منك، فإذا جاهد كتابي هذا فخرج به إلى الكناسة، فسبه كالذي سبني أو أعف عنه فإن ذلك أحب إلي، فإنه لا يحل قتل امرئ مسلم بسب أحدٍ من الناس إلا رجلاً سب رسول الله ﷺ .

(١) من ذلك ما حصل بقول سنة ٧٨٤ هـ وهو أن رجلاً قال لأخيه أنا عبودك وعبود نبيك، فجلس مجلس فألقى بعض المالكية بأنه مرتد وأخذ كفره من قوله تعالى { مَنْ كَانَ قَدْرًا إِلَهُ } (البقرة: ٩٨) وألقى بعضهم بأن كفره كفر تنقيص، فلا يستتاب، وأخذ ذلك من في الثناء من أن امرأة سبت النبي ﷺ فقال { من يكلمني عدوتها } فقلت، ومن يكون عدو الله قتل من قال له عن النبي ﷺ: صاحبكم، ومن إغته ابن هتتاب يقتل من قال: إن سألت أبو جهل فقد سألت وجهك نبيك، واعترض بعضهم بأن الحديث ليس في أن كل سب عدو، ولا شك فيه، وإنما الكلام في عكس هذه الحقيقة، وهي لا تنعكس بنفسها، لكن (تنعكس في جزئية مسألة وهي بعض العدو ليس بسب) بل قوله أنا عبودك وعبود نبيك، ربما أثير بترقيق القول له ذلك، لأننا نجد الواحد يجعلون أنفسهم منزلة بذلك، يقول الواحد منهم: أنا عبود الأمير، والأمير عبود لي، وتعدده به رفع نفسه لأنه في رتبة من يعادى الأمراء، ويأن لقتل خالد بن بكر، مذنب صاحب على أن عمر حجة ودي القتل عن بيت المال، ورأى أن قتلته غير موجب، ويأن إغته ابن هتتاب إننا هو لأن ما ذكر في قتلته صريح في التنقيص، فالتحليل فن قاتل ما مر مرتد لا تنقص .. قص . والمرتد عن المالكية يستتاب، أما المتنص فإنه يقتل بلا استتابه . قال العلامة ابن حجر الموهبي الشافعي: أما على قواعدنا فتأذى يظهر أنه مرتد .

وروى محمد بن عبد الملك بن أسيد، ومن طريقه ابن حزم عن علي بن المهدي قال: دخلت على أمير المؤمنين فقال لي: أتعرف حديثاً مستنداً فومن سمع النبي ﷺ فيقتل؟ قلت: نعم وذكرت له حديث عبد الرزاق عن معمر بن سفيان عن الفضل بن عروة بن محمد عن رجل من بلقين قال: كان رجل يشتد النبي ﷺ فقتل النبي ﷺ {من يكفني عدواً لي} فقال خالد بن الوليد: أنا، فبعثه النبي ﷺ فقتله، فقال أمير المؤمنين: ليس هذا مستنداً، هو عن رجل، فقلت يا أمير المؤمنين بهذا يعرف هذا الرجل وهو أسيد، وقد أتى النبي ﷺ فباعه وهو مشهور معروف، قال: فأمر لي بثلث دينار.

وقال ابن حزم: هذا حديث مستند صحيح، وقد رواه علي بن المهدي عن عبد الرزاق كما ذكره، ثم قال ابن حزم بعد ذكر ما تقدم من الآثار ما نصه: لصح بما ذكرناه أن كل سب الله تعالى أو استهزاء به أو سب ملكاً من الملائكة أو استهزاء به أو سب نبياً من الأنبياء أو استهزاء به، أو سب آية من آيات الله تعالى أو استهزاء بها - والشرايح كلها والقرآن من آيات الله تعالى - فهو بذلك كفر مرتد، له حكم المرتد، وبهذا تقول . . .

قلت: يدخل في هذا ما يلحق من بعض المسلمين ممن انضم أهلوا إلى الخصم - قصه الله - أنه قال في مجلس يضم كثيراً من الناس: إن القرآن مالف، لأنه لم يشر إلى المخترعات الحديثة، وأنه كان الواجب أن يقول: وإن لكم في الأورثوم لمرة بدل قوله ﴿وَأَن تَكُونَ فِي الْأَثَامِ لَغَيْرَةَ﴾ [النمل: ١٠] مثلاً، وهذا كما ترى كفر صريح يوجب قتل صاحبه والعياذ بالله.

تنبيه

كثير ما يحصل بين الناس أن يذكر أحدهم نبياً من الأنبياء أو ملكاً من الملائكة على سبيل ضرب المثل كأن يقول: إن قيل في السوء فلن قيل في النبي، وإن كذبت فقد كذب الأنبياء، أو سميت كعبر أهوب، أو لا أفعل كذا ولو نزل على جبريل، أو أنا أسلم من أسفة الناس، ولم يعلم منهم أنبياء الله ورسله، أو كل الناس أذنبوا حتى الأنبياء - ونحو هذا مما يدور بين الناس في محاورتهم وسخاساتهم.

قال القاسمي ههنا في [الشفاء] بعد أن ذكر كثيراً من الأمثلة من هذا القبيل ما نصه: فحق هذا - إن درى عنه القتل - الأدب والسجن، وقوا تعزيره بحسب شدة مقاله ومقتضى قبح ما نطق به، ومألوف عاداته كمثل أو ندوره أو قرينة كلامه أو ندمه على ما سبب

سته : ولم يزل المتقدمون ينكرون مثل هذا ممن جهل به .. اهـ . ثم نقل فتاوى خير بن عبد العزيز ومالك وسحنون وغيرهما ، فلهذا راجع كلامه ، فإنه أجاد فيه غاية الإجابة .

وللمحافظ السيوطي رسالة (تنزيه الأنبياء عن تشبيه الأفعياء) ألفها بسبب حادثة وقعت من القبيل المذكور ، وهي مطبوعة في كتابه [البحار للفتاوى] ومن قلة الأدب مع النبي ﷺ ما سمعته من عالم أزهري - وهو في الواقع جاهل - سمعته يقول في مجلس خطيب : إن محمداً أخطأ وسجل الله عليه الخطأ في القرآن أحاديثاً مرتين أو ثلاثاً ، فأخذ بعض الحاضرين حماسة الإيمان ورد عليه بأن هذا لا يليق ، وإن النبي ﷺ لم يخطئ ، فأصر على مقالته وأعادها ، وقال : إنه بأسف على تصريحه هذا ولكن دعاء إليه بالتعليم .

قلت : ما كان أحوجه أن بأسف على قلة أدبه وكثرة جهله وقرط حقه وتمصبه : ومقام النبوة أعلى وأجل من مثل هذا التعبير الشنيع .

قال ابن السبكي في جمع الجوامع : والصواب أن اجتنبه ﷺ لا يخطئ قال شارحه الجلال المحلي : تنزيهاً لمنصب النبوة عن الخطأ في الاجتهاد ، وقيل : قد يخطئ ، ولكن ينبيه عليه سريعاً ، لما تقدم في الآيتين (مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى) (البقرة: ٢٧) (قَدْ أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىكَ لِمَ أُفِيَتْ لَهُمْ) (البقرة: ١٣) " وبإشاعة هذا القول عبر المصنف بالصواب .. اهـ . أي : ليلود أن مقاله غير صواب ، كما قال العلامة المطارفي حاشيته على جمع الجوامع ... والله أعلم .

٣٩ - حديث : هل ترون قبلي

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال (هل ترون قبلي ضيئاً ؟ فوالله ما يخلقني علي رؤوسكم ولا سجونكم إني لأراكم من وراء ظهري) رواه البخاري ومسلم .

ومسلم عن أنس : أن رسول الله ﷺ قال (أيها الناس إني إناكم فلا تشقوني بالركوم ولا بالسجون فإني أراكم من أمانتي ومن خلفي) وللحديث طرق .

قوله : (هل ترون قبلي هاهنا) .. الخ ، في رواية لأبي هريرة في الصحيح قال : صلى بنا رسول الله ﷺ يوماً ثم أنصرف فقال (يا فلان ألا تحب أن صلاتك ، ألا ينظر الصلي إنا صلى كيف يصلي فإنما يصلي لنفسه إني والله لأبصر من ورائي كما أبصر من بين يدي) .

(١) بيئت في كتاب (فضائل النبي في القرآن) أن الآيتين لا يقتضيان نسبة الخطأ إليه ﷺ ، فراجع .

وقى حديث أنس في الصحيح أنها { أقيموا الركوع والسجود فوائده إنى لأراكم من بقى أو بن ظهري إذا ركعتم وأنا سجدتم } .

قال العلماء في معنى هذه الأحاديث: { إن الله تعالى خلق له ﷺ إمراكاً خلف رأسه يبصر به من ورائه } وقد انخرقت العادة له ﷺ بأكثر من هذا وليس يمنع من هذا عقل ولا شرع، بل ورد الشرع بظاهره، فوجب القول به .

ونقل القاضي عياض عن الإمام أحمد بن حنبل وجمهور العلماء: أن هذه الرواية رواية بالمعنى حقيقة . . . أما من شرح النورى على مسلم، ولم يثبت في شيء من الأحاديث أن هذه الرواية كانت بعينين صفتين بين كتفيه كسم الخطاط، لا تحجبهما الثياب كما ذكره الزاهد بخيتار محب بن محمود، شارح القنورى في رسالته الناصرية، ومثل هذا لا يقبل فيه إلا ما صح نقله، وإلا قصر في إثبات كونه معجزة، كما قال القسطلاني: حملها على الإدراك بغير آية، وأما ما أراه ابن الجوزي في بعض كتبه بغير إسناد أنه ﷺ قال { إنى لا أعلم ما خلف جدارى هذا } فلا أصل له كما نقل الحافظ البخارى عن شيخه الحافظ ابن حجر .

ويؤخذ من روايات حديث الترجمة:

الأمر بإحسان الصلاة والخطبة فيها والعام الركوع والسجود، وجواز الخلف بالله للغير ضرورة، ولكن المستحب تركه، إلا لحاجة كتاكيد أمر وتلخيصه أو تمكينه من النفوس كما هنا، فإنه لما كانت الرواية من الخلف أمراً خارقاً للعادة أكدها باليمين، وجاء في إحدى روايات أنس في الصحيح { أيها الناس إنى إمامكم فلا تسبقونى فى الركوع ولا بالسجود ولا بالقيام ولا بالتصريف حتى فإنى أراكم أملى ومن خلفى } فيؤخذ من هذه الرواية تحريم سبق الإمام بهذه الأشياء، فمن فعل ذلك آثم، وصحت صلاته عند الجمهور، ومن ابن عمر تبطل صلاته، وهو مذنب الظاهرة، ورواية عن الإمام أحمد لأن النهى يقتضى الفساد .

تنبيه

روى البيهقي في الدلائل عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يرى بالليل في الظلمة كما يرى بالنهار في الضوء، وروى البيهقي وابن عدى عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يرى في الظلمة كما يرى في الضوء، فهي معجزة أخرى تتعلق ببصره الشريف، وتضعيف ابن دحية لهذه الحديثين لا يضر لأنهما مؤيدان بما ورد في معناهما مما هو

خلاق للعامة، لقد تواتر رؤيته للملائكة والشياطين، وصح رفع يده ببيت المقدس حتى صار ينظر إليه وهو يظهر منه صبيحة ليلة الإسراء، ورؤيته الجنة والنار وهو في الصلاة، إل غير ذلك وأيضاً فإن شقيقنا الحافظ أبا الفهد - رحمه الله - قال: أخبرنا أبو البركات موسى محمد المقرئ، أنا^(١) إسحاق بن زين العابدين البرزنجي، أنا صالح بن محمد العمري، أنا محمد بن سنان، أنا الشريف الولاتي، أنا الشهاب أحمد المقرئ، أنا عيسى بن مكي التلمساني سعيد ابن أحمد المقرئ، أنا أبو عبد الله محمد بن محمد التقي التلمساني، أنا والذي محمد بن عبد الله التقي، أنا أبو الفضل محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن مرزوق الحنفدي عن أبيه عن جده الخطيب قال: أنا أبو المجد أحمد بن أبي عبد الله محمد بن القاسم أبي الفضل هياض بن موسى بن هياض اليحصبي قال: أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد العدل من كتابه حدثنا أبو الحسن المقرئ النرغاني حدثنا أم القاسم بنت أبي بكر عن أبيها حدثنا الشريف أبو الحسن علي بن محمد الحنفي حدثنا محمد بن محمد بن سعيد حدثنا محمد بن أحمد بن سليمان حدثنا محمد بن محمد بن مرزوق حدثنا همام حدثنا الحسن بن قتادة عن يحيى بن وثاب عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال { لما تجلى الله ﷻ لموسى ﷺ كان يبصر النملة على الصلابة في الليلة الظلماء مسيرة عشرة فراسخ } .

قال القاسم هياض: ولا يبعد على هذا أن يختصر نهجنا ﷺ بما ذكرناه من هذا الشهاب - يعني رؤيته في الظلمات وغير ذلك - بعد الإسراء والخطوة بما رأى من آيات ربه الكبرى .. أهد . وهذا الحديث أخرجه الطبراني في المعجم الصغير .

٤٠ - حديث: إنا نسمع أحاديث من يهود

عن جابر قال: أتني عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: إنا نسمع أحاديث من يهود نعجبنا أفترى أن نكتب بعضها؟ فقال { أفتهوكون أنتم كنا نهزمت اليهود والنصارى لقد جنتكم بها بغضاء فجأة ولو كان موسى حياً ما وبعه إلا اتباعي }^(٢) .

(١) لنا مختصرة من أخبرنا، ولنا لو لنا مختصرة من حدثنا، فليعلم ذلك
(٢) رواه أحمد بإسناد حسن وابن حبان بإسناد صحيح، ورواه أحمد عن ابن عباس بإسناد حسن أيضاً، وله مع هذا طرق .

قوله: { أمتهوكون انتم } أي: متحبرون، كما قال الحسن، والنهوك: التحيز

قوله: { كما نهوكت اليهود والنصارى } وذلك لأن كتبهم دخلها التحريف بالزيادة والنقصان، فتحبروا في دينهم وأدخلوا فيه، ولكن ههنا محفوظ كما قال تعالى { إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون } (الحجر: ٩) ونظير الذكر في الآية الشريفة يشمل القرآن والحديث، كما بهنه الحافظ المجتهد أبو محمد ابن حزم في كتاب الأحكام.

قوله: { لقد جعلكم بها } أي: الآية الشريفة { بيضاء نقية } كنى بهاها وتقائها عن يسرها وسلاحة تعاملها وما اشتملت عليه من مكارم الأخلاق ومحاسن الأدب

قوله: { ولو كان موسى حياً ما وسعه إلا اتباعي } لأن الله تعالى أخذ عليه وعلى جميع الأنبياء عهداً أن يؤمنوا به وينصروه. قال تعالى { وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَئِن آتَيْنَاكَ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ لَمْ جَاءَكُم رِسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ } (آل عمران: ٨١) فهو كذا نهي الأنبياء وخالفهم.

والقاديانية - لعنهم الله - يروون هذا باللفظ [ولو كان موسى وخميس حين ما وسعها] لا اتباعي [لمندلوا على إن عيسى مات. وأنه لا ينزل، والحديث بهذا اللفظ باطل لا أصل له. بل هو من جملة أكاذيبهم الكثيرة - أحرام الله -

ولنطعمي في التفسير وأبي داود في المراسيل من طريق يحيى ابن حمدة: أن ناساً من المسلمين أتوا رسول الله ﷺ يكتف قد كتبوا فيها ببعض ما تقول اليهود، قلنا نهر إليها ألقاها وقال { كفى بها حملة قوم قو حملة قوم أن يرغبوا عما جاء به نبيهم إلى ما جاء به نهر نبيهم } فنزلت { أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُقْلَى عَلَيْهِمْ } (ص: ٥٥).

والحديث يقتضي النهي عن الأخذ من كتب الإسراءيات، وذلك لما يتعلق بالأمور الدينية من أصول وفروع، أما ما يتعلق بالوائع والآداب وأخبار الأوائل فلا بأس بذلك، ما لم يخالف ما ثبت بدليل صحيح، وقد كان جماعة من الصحابة يحشون عن أهل الكتاب كعب الله بن عمرو بن العاص، وعبد الله بن عباس وأبي هريرة^(١) وكان عمر يقول لكعب الأحبار:

(١) بل قال إبراهيم بن أبي يحيى: أنا معاذ بن عبد الرحمن بن يوسف بن عبد الله بن سلام عن أبيه: أنه جاء إلى النبي ﷺ فقال: إني قرأت القرآن والتوراة، فقال ﷺ { أقرأه هذا ليلة وهذا ليلة } قال فلاحي في تذكره الحافظ: هذا أن صح عليه الرحمة في تكرير التوراة وتدبرها... قد قلت: إبراهيم ابن أبي يحيى ضعيف جداً، كذبه جماعة من الحفاظ وكان معتزلاً جليلاً جداً، وقد أطلت لأهله في ترجمته في الهزان، وهو مع ضعفه حافظ كبير، وله موطأ كبير من موطأ مالك بكثير.

طوفنا يا كعب، وكذلك كان عبد الله بن الزبير يسجد من كعب أيضاً ويحدث عنه أما حديث التابعين عن فعل الكتاب فكثير، وحصل بين الحافظ السخاوي والبرهان البقاعي نزاع في جواز النقل من كتب الأناجيل ونحوها، وألف كل منهما في ذلك بحسب رأيه، ونُشر السخاوي إلى شيء من ذلك في كتاب [الإعلام بالتأويل لمن تم التأويل] وهو مطبوع .. والله أعلم .



٤١ - حديث: ليهيطن ابن مريم

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ { ليهيطن ابن مريم حكماً عادلاً وإماماً مقسطاً وليسلكن فجاً حاجاً أو مستمراً وليأتين قيرى حتى يسلم على ولأرثن عليه } يقول أبو هريرة: أى يبنى أحسب إن رأيتموه فتولوا أبو هريرة بفرك السلام^(١).

قوله: { ليهيطن ابن مريم } أى: من السماء على منارة بهناء شرقى دمشق بين ملكهن، فهلك حصار الدجال عن فلسطين ومجته، ويلقى الله الرعب في قلوب اليهود من المسلمين فيقتلونهم، ويكون عيسى إذا ذاك حكماً عادلاً وإماماً مقسطاً يحكم بالشرعة الإسلامية ويحس ما أُنذر منها، ويقاتل اليهود والنصارى على الإسلام ولا يقبل الجزية، ويكون حكمه بالكتاب والسنة، ولا يقلد أحداً من المذاهب خلافاً لما زعم بعض متهموس الحنفية: أنه يكون على منهجهم، بل للذهب في وقته تبطل .

قوله: { وليسلكن فجاً } - بفتح الفاء - طريقاً واسماً أو اسم موضع في طريق مكة حاجاً أو مستمراً، وليأتين قيرى حتى يسلم على تحقيقاً لتبعيته لى، والتباعة لشريعته، ولأرثن عليه السلام. واللام في { ليهيطن وليسلكن وليأتين ولأرثن } تدل على قسم مقدر، أى: والله ليهيطن، والله ليهلكن، والله لياتين، والله لأرثن، لهذه الأفعال مؤكدة بشيئين القسم في أولها، وثون التوكيد المشددة في آخرها، وذلك غاية ما يطلب في التوكيد كما لا يخفى، ويأخذ من الحديث أمور:

الأول: الصيغة النحوية ﷺ تكون عيسى ﷺ وهو رسول كريم من أولى العزم، ينزل تابهاً

بعد وقد روى عنه الشافعي رواته، وقال الربيع: إذا قال الشافعي: حدثني من لا أنهم، أراد إبراهيم بن أبي يحيى .

(١) وذكر فيه أنه ألفت كتاباً اسمه [الأصل لأصيل في تحريم النقل من التوراة والإنجيل] فكان لم يختر إلى ما حصل بينه وبين البقاعي .

(٢) رواه الحاكم وصححه، وسلمه المنعبي .

له ومليزماً لشريعته، قال العلماء: وللحكمة في تخصيص نزوله: الرد على اليهود حيث زعموا أنهم قتلوه وصلبوه، وكذبوا في زعمهم ذلك.

الثاني: إثبات نزول عيسى عليه السلام، وهذا أمر تواترت به الأخبار عن النبي صلى الله عليه وآله كما نص عليه الحفاظ منهم: ابن جرير الطبري، وأبو الحسن الأثيري، والقرطبي، وابن كثير، وابن حجر العسقلاني، وغيرهم^(١) وجهل الشيخ محمد عبده هذا لكونه لا يعرف السنة، فلادى أن حديث نزول عيسى عليه السلام وأتكره بناء على ذلك سيما نقله عنه تلميذه في تفسير المنار، وقلده بمتبعة الأثر ومن على شاكلتهم مثل: للرازي وشلتوت وعبد الوهاب النجار. وقد أنقت كتاباً أسميته [إقامة البرهان على نزول عيسى عليه السلام آخر الزمان] فصححت به جهل شلتوت في فتوى له نشرها بمجلة الرسالة، وألقي فيها القاديانيون الكفار، فلما رآه ولج في العناد أردفته بكتاب آخر أسميته [إرغام المبتدع الجهول بإتياع سنة الرسول]

الثالث: استحباب إتيان قبر النبي صلى الله عليه وآله لزيارته والسلام عليه، وهذا مما لا خلاف فيه، قال القاضي عياض، وزيارة قبره صلى الله عليه وآله سنة من سنن المسلمين مجمع عليها وموجب فيها. أهـ. بل ذهب بعض المالكية وبعض الظاهرية إلى أنها واجبة كما حكاه الشوكاني في نيل

(١) وبيان ذلك: أنه رواه عن النبي صلى الله عليه وآله أبو هريرة، وحذيفة بن أسيد، والثواس بن سحمان، وعبد الله بن عمرو، وجابر، ومجمع بن جارية، وعثمان بن أبي العاص، ووالدة بن الأسقع، وابن مسعود، وحذيفة بن اليمان، ومالك، وأنس، وغيرهم من الصحابة، ورواه عن هؤلاء نحو ثلاثين تابعياً منهم: سعد بن المسيب، وسعيد بن ميناء، وعطاء بن ميثاق، وجبير بن نفير، ويعقوب بن عاصم، وأبو الزبير، وأبو نضرة، ومؤثر بن عمار، وربيعة بن حراش، والحسن البصري، وطائوس، وعلفة، وأبو قلاب، وقبر صالح، ورواه عن هؤلاء نحو ثلاثين أيضاً منهم: الزهري، وقشاد، والمقبري، وهشام ابن عروة، وسليم بن حسان، وشرار الشزاز، وعلي بن زيد، وابن جريج، وأبو حازم الأشجعي، وأيوب السختياني، وسعيد بن طهم، ورواه عن هؤلاء نحو خمسة وثلاثون شخصاً منهم: سفيان بن عيينة، وطائفة إمام أهل مصر، والأوزاعي إمام أهل الشام، وأبو داود الطيالسي صاحب السنن، وخمسة أسير المؤمنين في الحديث، ومصر صاحب الجمع، ويحيى بن جابر الطائي قاضي حمص، وهشام بن أحمد أئمة الثراء، وأبو جعفر النعمان أمير المؤمنين، ورواه عن هؤلاء خلق كثير يطعنون نحو أربعين شخصاً منهم: عبد الرزاق صاحب الصنف، وعلي بن الدهني للإمام شيخ البخاري، وقتيبة بن سعيد، وروح، ويحيى بن عمار، وبشر بن معاذ، ومعاذ القتيبي، ولفند، وحجاج بن الشاعر، وهؤلاء كلهم أئمة مشاهير، ثم رواه عن هؤلاء وغيرهم أصحاب الكتب الثمينة في الحديث، ويؤيده في كتبهم مثل: أحمد والبخاري، ومسلم، وأبي داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وابن خزيمة، وابن حبان، والدارقطني، والحاكم، والبيهقي، والطحاوي، والطبراني، وغيرهم ممن لا يكابون بحصون، فهذا تواتر على جميع الاصطلاحات الثبوتية في علم الأصول، ولكن أتى لمحمد عبده ومقلديه أن يعرفوا هذا وهم أهد الناس من علم السنة وأنواعها، ولهم إنا جهلوا مكتوباً فقد كان السكوت أستر لحالهم، ولكن قاتل الله حب الظهور، فإنه قاصم للظهور، كما قال الصوفية.

الأوطار، والذي صرح بالوجوب من المالكية أبو عمران الفاسي .

قال الحافظ عبد الحق الأشبهلي المالكي في كتاب [تهذيب الطالب] يروى أنها واجبة وجوب الستن المؤكدة .. أم .

وقالت الحنفية: أنها قريبة من الواجبات حكاه الشوكاني أيضاً وحكى ابن هبيرة اتفاق الأئمة على استحبابها وقد بطل المولن الرحلة من الشام إلى المدينة بقصد الزيارة كما رواه ابن عساكر بإسناد جيد وإن حاول ابن عبد الهادي تضعيفه فعصياً لرأى ابن تيمية الذي خالف الإجماع بإكباره مشروعية الزيارة الشريفة، وزعم أن السفر إليها معصية، لا تقتصر فيه الصلاة، ورد عليه العلماء قوله هذا وبهذه، وأورد المالكي السبكي في الرد عليه كتاباً خاصاً سماه [شفاء السقام بزيارة خير الأنام] وهو مطبوع، وليس لأبن تيمية حجة فيها زعم إلا حديث الصحيحين { لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد } ولكن القصد في الحديث إغاثي باهتمام المساجد لا حقيقي، بدليل ما ثبت بإسناد حسن، كما قال الحافظ { لا ينبغي للمطلي أن تشد رحالها إلى مسجد يتقضى فيه الصلاة غير مسجدى هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى }^(١) فالزيارة وغيرها خارجة عن النهي كما ترى والأحاديث تفسر بعضها بعضاً والجمع بينها واجب، والغناء أحقها بنهر دليل حرام كما تبيننا عليه فيما مر، وانظر الشفاء للفاسي عياض وشروحيها، والمواهب اللدنية، ونيل الأوطار للشوكاني وغيرها .

تنبيه: قال العلامة قلبه أنه حاضر بين يديه، مستشفع به إلى من قد به عليه .. أم . وهذه ابن الحاج على المدخل: من لم يقدر له زيارته فلا يجسمه فليتوها كل وقت

(١) روى الإمام أحمد في المسند عن مشهور بن حوشب، قال: سمعت أبا سعيد الخدري - وذكر عنده صلاة في الطور - فقال: قال رسول الله ﷺ { لا ينبغي للمطلي } الخ . وحسنه الحافظ الهيثمي أيضاً في كتاب [مجمع الزوائد] وهو كما ترى صريح في أن النهي عن تشد الرحال للمساجد لأجل الصلاة لا لغيره، لأن المساجد مشتملة لا لفصل فيها لمسجد على آخر، إلا المساجد الثلاثة . ويؤيده ما رواه أحمد أيضاً بإسناد رجاله ثقات كما قال الحافظ الهيثمي عن عمرو بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام قال: قال أبو بصير أنفقاري أبا هريرة وهو أت من الطير فتك: من أين ألبنت؟ قال: من الطور حيث فيه، قال: لو أبركتك لعل أن ترحل ما رحلت إني سمعت رسول الله ﷺ يقول { لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد الحرام ومسجدى هذا والمسجد الأقصى } يروى الطبراني عن الأرقم - وكان يجرى - قال: جئت رسول الله ﷺ لأودعه، ولدت الفروج إلى بيت المقدس، فقال لي { أين تريد؟ } قلت: أريد بيت المقدس، قال { وما يخرجك إليه؟ } فلي قجارة؟ } قلت: لا ولكني أصلي فيه، فقال رسول الله ﷺ { صلاة هنا - يعني في مكة - خير من ألف صلاة ثم } قال الحافظ الهيثمي رجاله ثقات، ورواه أحمد أيضاً بإسناد فيه يحيى بن عمران، قال أبو حاتم: مجهول، ورواه ابن عسار، وهذا حديث يلود أن السفر بطريق غير الصلاة كالقجارة غير محظور .

بأنفسه، ولينحضر زيارة روحية حضورية لا يتألفها إلا من له مزيد تعلق واحتصاص بالجناب النبوي الشريف، حقلنا الله بهذا المقام بمنه وفضله.

الرابع: أنه ﷺ في غيره الشريف، ولقد علمنا أن هذا ثابت بالقرآن والسنة المتواترة والإجماع، وقطعنا على الروحية طريق الزيف والابتداع، فإن قيل: قد قال الله تعالى خطاباً للنبيه ﴿إِنَّكَ مُبْتَلًى مِنْهُمْ فَبَيِّنْ لَهُمْ مَا يَتْلُو صُحُفَهُمْ﴾ (البقرة: ١٢٩) وقال ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْكِتَابَ أَنْ يَكُونَ مِنْهُ آيَاتٌ لِلَّذِينَ يَعْلَمُونَ﴾ (الأنعام: ١١٣) قلنا: وقد قال تعالى ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتُلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَمْوَاتٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ١٧٤) وقال تعالى ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَمْوَاتٌ حَيًّا وَهُمْ يُرْزَقُونَ﴾ (آل عمران: ١٦٩) والنبي ﷺ جمع الله له بهن درجتي النبوة والشهادة، فإنه مات شهيداً من أثر أكلة خبيرة، كما جاء في الصحيح، وأما حديث أبي هريرة (ع) ما من أحد مسلم على إلا رد الله إلى روحه حتى أود عليه السلام (ع) رواه أبي أحمد وأبو داود - فهو مع كونه ليس في قوة الأحاديث الدالة على حياة الأنبياء - مجاب عنه بثلاثة عشر جواباً، سريها الحافظ السيوطي في كتاب [إنباء الأنبياء بحياة الأنبياء] وهو مطبوع ضمن كتاب [الحاوي للفتاوى] بل ذهب بعض العلماء إلى أن هذا الحديث يدل على دوام حياته بطريق بليغ كما بيته في كتاب [الرد المحكم المتيقن] مع ذكر بعض الأجوبة للبيهقي والسبكي.. فليراجع.

الخامس: يؤخذ من قول أبي هريرة: إن وأسموه.. الخ، ما كان عليه الصحابة من قوة الإيمان وشدة التصديق بما يسمعون من النبي ﷺ، ولهم في هذا الباب آثار وأصول تزيد في إيمان سامعها، وتقوى بقلبه، وبذلك فازوا أو ربحوا وحازوا العز والتكريم في الدنيا مع ما أدرج لهم من عظيم الثوبة في الآخرة، رضى الله عنهم وأرضاهم، وحشرنا في زميرهم تحت لواء نبينا ﷺ والحمد لله رب العالمين.



١٢ - حديث: كان النبي ﷺ أحسن الناس

عن أبي هريرة قال: (كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ كَانَ رَفْعَهُ وَهُوَ إِلَى الطُّوْلِ أَقْرَبُ بِمِثْقَلِ مَا يَمُوتُ مِنَ الْمُنْكَرَيْنِ أَسْبَلُ الْخَدَّيْنِ شَبْدُ سَوَامِ الشَّعْرِ أَكْخُلُ الْعَيْنَيْنِ أَغْنِبُ إِذَا وَطِئَ بِخَدِّهِ وَطِئَ بِكُلِّهَا لَيْسَ لَهُ لَحْمٌ إِلَّا وَضَعُ رِجْلُهُ عَنْ مَتْنَتِهِ فَكَأَنَّهُ سَبَكَةُ بَشَرٍ وَإِذَا فَجَّكَ تَقَلَّلَا لِي الْجَنَّةُ تَمَّ أَرْقَبُهُ وَلَا يَغْدُو بَلَّةً) رواه الجزار والبيهقي.

ولابن سعد وأحمد وابن حبان والبيهقي عن أبي هريرة قال: { مَا رَأَيْتُ شَيْئاً أَحْسَنَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَانَ الشَّمْسُ تَجْرِي فِي وَجْهِهِ وَمَا رَأَيْتُ أَحداً أُتْرِغَ فِي شَيْءٍ هُنَا كَانَ الْأَرْضُ تُطَوَّى لَهُ إِنَّا لَنُجِئُهُ وَإِنَّ هَرَجَ مُكْتَرَبٍ } .

قوله: { كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ } أى: خلقاً - بفتح الخاء - وخلقاً - بضمها - وفى حديث البراء فى صحيح البخارى: { إِنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ وَجْهاً وَأَحْسَنَهُ خَلْقاً - أى: بفتح الخاء - وقيل: بضمها

قوله: { كَانَ رَمْعاً } اتفقت الروايات على ذلك فى الصحيحين وغيرهما، والرمع - بفتح الراء وسكون الموحدة - اللوط بين الطول والقصر - وكذلك جاء مفسراً فى حديث أنس والبراء وغيرهما . قوله: { وَهُوَ إِلَى الطَّوْلِ أَقْرَبَ } أى: يقرب من الطول قليلاً، ولكن ليس بالطول البائن كما سيأتى .

قوله: { يَمِيدُ مَا بَيْنَ الْمُتَكْسِبِينَ } أى: عرض أعلى الظهر، زاد فى حديث أبي هريرة أيضاً عند أبي سعد: رجب المصر، أى: واسعة .

قوله: { أَسِيلُ الْخَدَيْنِ } بفتح الهمزة وكسر السين أى لين الخدين مع طول فريهما . قوله: { أَحَدَبَ } أى: طويل الأشعار .

قوله: { إِذَا وَطِئَ بِقَدَمِهِ وَطِئَ بِكُلِّهَا لَيْسَ لَهُ أَحْمَصُ } الأحمص: ما خل من باطن القدم، فلم يصب الأرض . والمص: أن فى قدمه الشريفة طعناً يميناً، بحيث لم يرتفع عن الأرض جداً، ولم يستوا أسفل القدم، وهذا أحسن ما يكون كما قال ابن الأثير: وبهذا يجمع بين روايات من أثبت الأحمص ومن نفاها، فمن أثبت أراد الخصومة الهيرة المعتدلة، ومن نفي أراد الخصومة الشديدة .

قوله: { إِنَّا وَضَعَ رِداًهُ عَنْ مَنْكِبِهِ فَكَانَ سَبِيكةً لَفْظاً } وفى حديث محرز الكعبى قال: استمر النبى ﷺ من الجمرانة ليلاً فنظرت إلى ظهره كأنه سبيكة لفة، رواه أحمد والبيهقي، وفى حديث أبي هريرة عند الترمذى والبيهقي: كان رسول الله ﷺ أبهى، كأنما صبغ من فلة ومعنى هذه الروايات ظاهر .

قوله: { وَإِذَا ضَحَكَ يَثَلَاثاً فِي الْجِدْرِ } أى: يظهر من أثر ضحكه إشراق ينعكس على المحيطان، كما ينعكس نور الشمس فى المرآة، ومن هذا الحديث أخذ شقيقنا الحافظ

أبو الفوارس - رحمه الله - اسم كتابه [بوارق الأنوار المنيفة بظهور النواجذ الشريفة] جمع فيه الأحاديث التي ورد فيها أنه ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه، وهو مطبوع^(١).

وفي صحيح البخاري عن كعب بن مالك قال: كان رسول الله ﷺ إذا سر استفار وجهه كأنه قطعة قمر، وكنا نعرف ذلك منه؛ وفيه أيضاً عن عائشة: أن رسول الله ﷺ دخل عليها مسروراً تهرق أسنانه وجهه، ووقع في حديث جابر بن مطعم عند الطبراني: التفت إليها النبي ﷺ بوجهه مثل شدة القمر.

قوله: لم أر قبله ولا بعده مثله، إذا ليس في الناس من يماثله ﷺ، فهو كما قال الإمام البرصري:

منزه عن شريك في محاسنه فجوه الحسن فيه غير منقسم
وقال آخر:

وأجل منك لم ترقط عيني وأكمل منك لم تلد النساء
خلقت مبرحاً من كل هيئ كأنك خلقت كما تشاء

قوله: رواه الهزار والبيهقي، ورواه أيضاً الذهلي في الزهرات، يعقوب بن سليمان القسوي في تاريخه وغيرهما، وإسناد الحديث حسن .. والله أعلم.

قوله: في الرواية الثانية: كأن الشمس تجرى في وجهه، قال الطبري: شبه جريان الشمس في فلكها بجريان الحسن في وجهه ﷺ، وفيه عكس التشبيه للمبالغة، قال: ويحتمل أن يكون من باب تناهي التشبيه، جعل وجهه مرقاً ومكاناً للشمس، وفي تاريخ يعقوب بن سليمان من طريق يونس بن أبي يعفور عن أبي إسحاق السبيعي عن امرأة من همدان قالت: حججت مع رسول الله ﷺ، فظلت لها شبهه، قالت: كالقمر ليلة البدر لم أر قبله ولا بعده مثله.

وروى النارسي والطبراني وأبو نعيم عن أبي هريرة، قال: قلت للربيع - يظم الراء وكسر الياء المشددة - بنت مَعُون - يظم الهم وكسر الواو المشددة -: صف لي رسول الله ﷺ؟ قالت: لو رأيته لرايت الشمس طالعة، ومثل البراء ابن عازب: أكان وجه رسول الله ﷺ مثل السيف؟ قال: لا .. بل مثل القمر، رواه البخاري. وفي صحيح مسلم عن جابر بن

(١) ضمن كتاب الاستعانة والجميلة - الناشر مكتبة القاهرة.

سورة: أن رجلاً قال له: أكان وجه رسول الله ﷺ مثل السيف؟ - أي في الطول واللمعان - قال: لا .. بل مثل الشمس والقمر مستديراً . ولا تتنافى بين هذا وبين الرواية السابقة: أهل الخدين، لأن المراد بها طول خفيف لا يمنع الاستدارة .

قوله: { كان الأرض تطوى له } الخ، هذا يبين لسرعة مشيقه، ولا يبين بعد عن أبي هريرة قال: كنت مع رسول الله ﷺ في جنازة فكنيت إذا مشيت سبقني، فالتفت إلى رجل من جنبي فقلت: تطوى له الأرض، وطليل الله إبراهيم، وسرعة المشي تدل على شدة المحزن وقوة المزمة، بخلاف المشي الضعيف فإنه يدل على التخاذل وطور المزمنة .

وقولهم: سرعة المشي تذهب بها بهاء المرء، ليس بحديث .. والله أعلم .



٤٣ - حديث: وصف رسول الله ﷺ

عن عمر بن عبد الله مولى هفيرة قال: حدثني إبراهيم بن محمد عن ولد علي بن أبي طالب قال: كان علي القليل إذا وصف رسول الله ﷺ قال: ((لم يكن رسول الله ﷺ بالطويل المنقط ولا بالقصير المتردد، وكان ريمة من القوم، لم يكن بالجعد القلط ولا بالسيط كان جملاً ولم يكن بالمطهم، ولا بالكلكم، وكان في وجهه تدوير، أبهى مشرب أدهج العيين، أهدب الأشعار، جليل الناس والكبد، أجود ذو مسربة، ششن الكفين والتدين، إذا مشى تفلح، كأنما ينحط في صهب، وإذا التفت التفت معاً، بين كتفيه خاتم النبوة وهو خاتم النبيين، أجود الناس صدراً، وأصدق الناس لهجة، وألينهم همكة، وأكرمهم عشرة، من رآه بدمية هابه، ومن خالطه فمرقه أحبه، يقول شاعته: لم أر قبله ولا بعده مثله)) . رواه الترمذي في السنن والشعائل وغيره .. والله أعلم .

قوله: (هفيرة) بضم القين المعجمة وسكون الفاء - ويقال هفيرة بالضم وهو بنت رباح وأخت بلال المؤذن، وأخيه خالد، قال البخاري: هم أخوان وأخت ومولاهما عمر بن عبد الله مدني يكنى: أباً حفص، روى له أبو داود والترمذي، وفيه ضعف، وشيخ إبراهيم بن محمد بن الحنفية ثقة عن رجال الترمذي وابن عاجة، ولكن روايته عن جده علي النخلة مرسلة لهما ذكر أبو زرعة الرازي، وهذا لا يضر هنا، لأن وصف علي للنبي ﷺ تلقاه الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية عن أبيهم عليهم السلام، ولقنوه لأولادهم وأهل بيتهم فهو من أقوى الموصولات، كما لا يخفى على أن معناه وارد في عدة أحاديث .

قوله: (التَّنْقِيط) يضم الهم الأول وفتح الهم الثانية المشددة وكسر القهن الخفظة - اسم فاعل هو المتناهي الطول، فهو بمعنى البائن في الرواية الأخرى، وهو الذي فارق غيره في الطول وظهر عليه، وقيل المنقُط - بفتح الهم الثانية وتخفيفها وتشديد القهن المعجمة المفتوحة - اسم مفعول من التمتعيط وأصله من قطع الحبل إذا عده، والقصود: أنه لم يكن بالطويل البائن الطول ولا بالقصير المتردد - يكرر الدال الأولى المشددة - أي: المتناهي في القصر، كلن زد بعض خلقه على بعض وتداخلت أجزاءه، قاله ابن الأثير، وكلن ربعة من التوم تقدم شرحه .

وزوى ابن أبي خزيمة والبيهقي من عائشة قالت: (لم يكن رسول الله ﷺ بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد، وكان ينسب إلى الربعة إذا مشى وحده، ولم يكن على حال بما حبه أحد من الناس ينسب إلى الطول إلا طاله رسول الله ﷺ، ولربما اكتنفته الرجلان الطويلان فهطولهما، فإذا فارقاه نسبا إلى الطول، ونسب رسول الله ﷺ إلى الربعة) .

قوله: (لم يكن بالجمد القلط) بفتح القاف وكسر الظاء الأولى، وقد تفتح ولا بالسبط بفتح أوله وكسر الموحدة، والجمودة في الشعر إلا يتكسر ولا يمتزل، والقلط شدة الجمودة، والسهولة في الشعر ضد الجمودة، وهو الامتداد الذي ليس فيه تعدد ولا تنوع .

والمراد: أن شعره ﷺ وسط بين الجمودة والسهولة، ولهذا قال: كان جمدا رجلا - بفتح الراء وكسر الجيم، وقد تسكن وتفتح، بمعنى ليس شديد الجمودة ولا سبطاً فهو وسط بينهما، ولم يكن بالمطعم - بفتح الهاء المشددة - هو البائن الكثير اللحم استفتح الوجه من السمن، ولا بالكلثم - يضم الهم الأول وفتح الكاف والثاء المثلثة بينهما لام ساكنة - أي: المدور الوجه، ولذا قال: وكان في وجهه تدوير، فهذه الجملة بيان لقوله ولا بالكلثم، والمعنى: أن وجهه الشريف كان وسطاً بين التدوير والإسالة، ويعبر عن ذلك بالسهولة، وهذا أحسن عند العرب وأعلى .

قوله: (أبيض) بالرفع خبر مبتدا محذوف - أي: هو أبيض مشرب - يضم الهم وسكون الشين وفتح الراء المخففة أو بفتح الشين وتشديد الراء المفتوحة - روايتان معناها واحد، أي: مخلوط بحمرة، كما جاء في حديث علي أيضاً عند سعيد بن منصور والطيالسي والحاكم، قال: كان النبي ﷺ أبيض مشرباً بهاضه بحمرة .

وفي حديث أنس هند البخاري: أزهر اللون ليس بأبيض أصفر، أي: شديد البياض، لأنه مذموم عند العرب، فمن أثبت البياض للنبي ﷺ أراد به المشرب بالحمرة،

وهو اللون الأزهر المدوح، وربما سموا أسفر كما قال أنس: كان الفبي ككأس أسفر، رواه أحمد والبزار وابن منده بإسناد صحيح وصححه ابن حبان، ومن نقل البياض أراد البياض الشديد الذي يسمى مبقاً وصاحبه أمبق، وهو مذموم وبهذا تطلق الروايات.

قوله: (أدمج المبتين) أي: شديد سواد الحذقة مع سعة العين، كما في الصحاح
قوله: (أهدب الأشقر) جمع شقر - بضم الشين، وقد تفتح - وهي حروف الأجفان التي منبت عليها الشعر والأهدب - بالدال المهملة - من طلل شعر أجفانه - والمعنى ظاهر، وروى ابن سعد والحرث ابن أبي أسامة عن ابن عباس وغيره: أن الصبيان كانوا يحبون ثعلباً رمياً ويصيح رسول الله ﷺ - وهو صبي - نعيماً كحبل.

قوله: (جليل) أي: عظيم الشاس - بضم الميم وتخفيف الشين المعجمة - رؤوس العظام كالمرقطين والركبتين، والكتد - بفتح الكاف والطاء - وقد تكسر - مجتمع الكتفين، والمعنى: أنه عظيم رؤوس العظام، عظيم مجتمع الكتفين، وذلك يدل على القوة والشجاع

قوله: (أجرد) أي: غير أشعر، أي: لم يكن على جمعه شعر كثير، فهو نومة - بفتح الميم وسكون السين المهملة وضم الراء - وهو شعر دقيق بين الصدر والسرقة، وفي رواية البيهقي: له شعرات من سوره تجري كالنسيب ليس على صدره ولا يطنه غيرها، وروى الطيالسي والطبراني عن أم هانئ: ما رأيت رسول الله ﷺ إلا ذكرت القراطيس المثني بعضها على بعض، شثن - بفتح الشين المعجمة وسكون الطاء المثناة، وقد يقال شثن - بالطاء المثناة - بمعنى: فليط الكفين والقدمين، من غير قصر ولا خشونة، لما ورد أنه كان سائل الأطراف لين الكف.

قال الثاوي: ولما أسر الأصمى الشثن في الحديث بالغلط مع الخشونة، أورد عليه: أنه ورد في صفته أنه لين الكف، فحذف ألا يفسر شيئاً في الحديث... أهـ. وتفسير الحديث لا يكفى فيه معرفة اللغة، بل لابد من جمع الطرق والروايات وغير ذلك مما هو مبسوط في موضعه.

قوله: (إذا مشى تطلع) يعني مشى بقوة، ورفع برجليه رفعاً بائناً متداركاً إحداهما بالأخرى كأنه يمشي مشى الغلعة بالتحريك، وهي القطعة المشيمة من السحاب.

قوله: (كأنما ينحط في شيب) ببيان لقوله تطلع، والعشيب - بفتح الصاد والباء الأولى - الحدو، ضد الصمود والمعنى ظاهر.

قوله: (وإذا التفت التفت مما) أي: جميعاً، أي: إذا التفت إلى إنسان لكلام أو غيره

الذئب إليه بكفه ، وأقبل عليه بكفيه ، ولا يلتفت إليه بلى لعل كفعل المحتالين المتكبرين .
 قوله : (بين كتفيه خاتم النبوة) بكر التاء ، أشهر وأصح من فتحها - والمراد به أثر
 بين كتفيه ، نعت به في الكتب السابقة ، وكان علامة عندهم على أنه النبي الموعود ، حتى
 لا يشكوا في أمره ، وأختلفت الروايات في وصف هذا الخاتم لعمراً وشكلاً ولوناً ،
 واستوعبها الحافظ قطب الدين الحلبي في شرح السيرة وتبعه العلامة مغلطاي في [الزهر
 الباسم] ونحن نشير إليها بحول الله . ففي الصحيحين عن السائب بن يزيد قال : ((كنت
 خلف ظهر النبي ﷺ فنظرت إلى خاتمه بين كتفيه مثل زر الحجلة)) .

وفي صحيح مسلم عن جابر بن سبرة قال : ((رأيت خاتم النبوة بين كتفيه مثل
 بيضة الحمامة يشبه جسده)) .

وفي رواية الترمذي : ((قبة حمراء مثل بيضة الحمامة)) ، وفي صحيح مسلم عن عبد الله
 بن سرجس قال : ((نظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه عند نفخ كتفه اليسرى جمعا عليه خيلان
 كأمثال التأليل)) الخلف . - يضم الفون وسكون الفين المعجمه - فرع الكتف ، والجمع - يضم الجهم
 وسكون المهم - الكف إذا جمع ، والخيلان : الثلمات السود ، والتأليل : حبوب تعلق ظهر الجسد .

ولأحمد والبيهقي عن أبي ومئة قال : ((انطلقت مع أبي إلى النبي ﷺ فنظرت إلى مثل
 السلعة بين كتفيه)) وفي رواية لأبي سعيد ((مثل المنقحة)) والبخاري في التاريخ عن أبي سعيد
 قال : ((ألهم الذي بين كتفي النبي ﷺ لحم نكتة)) وفي رواية الترمذي ((كان في ظهره بيضة
 نائضة)) وفي رواية أحمد : ((لحم نائض بين كتفيه)) ، وفي حديث ابن عمر عند ابن حبان :
 ((مثل البندقة من اللحم)) ، وفي حديث أبي زيد بن أسيد عن الطبراني : ((حجمة نائضة)) .

قال العلماء : اختلفت أقوال الرواة في خاتم النبوة وليس ذلك باختلاف حقيقة ، بل
 كل واحد شبهه بما عرف له ، قال القرطبي في شرح مسلم : اتلفت الأحاديث الثلاثة على
 أن خاتم النبوة كان شيئاً بارزاً أحمر عند كتفه الأيسر ، فمرة إذا أقل قمر بيض الحمامة ،
 وإذا أكبر جمع اليد ، قال السهلي : والصحيح أنه كان عند نفخ كتفه الأيسر ، لأن
 معصوم من وسوسة الشيطان ، وذلك الوضع منه دخوله .. أم .

وقد روى ابن عبد البر بسند قوي كما قال الحافظ عن ميمون بن مهران عن عمرو بن
 عبد العزيز : أن رجلاً سأل ربه أن يريه موضع الشيطان فرأى الشيطان في صورة طوطم عند
 نفخ كتفه الأيسر حذاء قلبه له خرطوم كالنموسة ، وله شاهد مرفوع من حديث أنس { أن

الشیطان واتسع خطمه على قلب ابن آدم { الحديث، رواه أبو يعلى وقهره، والصحيح أن الخاتم كان عند شق صدره الشريف، كما قال عياض: ولم يولد به من قبل .. واقه أعلم .

قوله: (وهو خاتم النبیین جملة) مضمرة لما قبلها، فهو خاتم نبوة الأنبياء لا نبی بعده، قال المناوي وابن سلطان وغيرهما من شراح الشرائع: لا ينال هذا نزول هبسى ^{الظلال} لأنه إنما ينزل متابعاً لشريعته مستمداً من القرآن والسنة .. أهـ .

قوله: (أجود الناس صدراً) أى: أرحبهم صدراً وأكرمهم لقباً فلا يعل من الناس، ولا يضجر منهم، على اختلاف طبيعتهم وأمزجتهم، بل يخاطب كلا منهم على قدر منزلته، ويهدئ لهم ما يسألونه من رفق وعطاء، ويعلمهم ما علمه الله مهتدئاً ناره ومجيباً ناره أخرى، وتقدم شىء من جوده وسعة صدره فى شرح الحديث الثلاثين .

قوله: (وأصدق الناس لهجة) حرف بهذا منفذ طوقته، حتى كان يدهى بين قومه بالأمم، فهو ^{كذلك} أصدق الناس لساناً وأصحبهم بياناً .

قوله: (وألينهم همكة) أى: أسهلهم طبيعة لوفور حلمه وكثرة تواضعه، وخطب جناحه للفقير والمكين، وفرط شقيقته على اليتيم والمحروم .

قوله: (وأكرمهم عشرة) بكسر العين وسكون الشين، اسم من العاشرة وهى المصاحبة لمصاحبه ^{كذلك} أكرم مصاحبة، لأنه أشد الناس وفاء، وأكثرهم عن الزلات إغضاء، يرهى حقوق العائسة، يراعى روابط اللوة يكون مع أصحابه كأحدهم، لا يتميز عنهم بشىء، ولا يثق عليهم فى شىء، ولى رواية (وأكرمهم عشرة) أى: قبلته، وهى صحيحة أيضاً، فإن قبلته أكرم القرائل، ونسبه أشرف الأنساب، كما تقدم فى شرح الحديث الرابع والسابع .

قوله: (من رآه) رؤية بديهية فجأة من غير سابق مخالطة ومعرفة، هابه لما عليه من المهابة الإلهية، لأن قلبه الشريف معلى بمظلة مولاة ومحبة وإجلاله وذلك يورث المهابة المذكورة، ومن خالطه وعائسه لحرقه، أى: حرف أخلافه العظيمة، أحبه حباً شديداً حتى يقدمه على نفسه ونفسه، ويهدئ كل شىء فى سهل طاعته ورفاه، كما كثر النصحية يفعلون لبائهم كانوا يبذلون أنفسهم دونه ^١ ويساوون - بل يقتلون - آبائهم وأبنائهم

(١) وهذا واجب على كل مسلم ينص للقرآن، قال الله تعالى ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ تَحْتِهِمْ﴾ (الأحزاب: ٩) وقال سبحانه ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَنْ نَبِيِّهِ﴾ (التوبة: ١٢٠) .

وعشيرتهم، بهاها عنه، وحفظاً لحرمته، فمدحهم الله على ذلك ووصلهم بالإيمان.

يقول: ثابته: أي: وصله إذا أراد الإجمال في نعتة، لأن التفصيل غير متيسر لم أر قبله ولا بعده مثله، لأنه جمع بين حسن الجمال، ووقار الجلال، وبلغ النهاية في خصال الكمال، فهو كما قال أبو بصير رحمه الله:

منزه عن شريك في صفاته لجوهر الحسن فيه غير منقسم^(١).

قال الحافظ أبو نعيم: ولد اختلفت ألفاظ الصحابة في نعتة وصفاته، وذلك لما ركب في الصدور من جلالاته وجلالاته وعظيم مهابته وطلاوته، ولما جعل في جسده الشريف من النور الذي يتلألأ ويغلب على بشرته، فأصابعهم صبط صفته، ونعتت حالته حتى قال بعضهم: كنان مثل الشمس طالعة، وقال بعضهم: كان يتلألأ تلألؤ القمر ليلة البدر، وقال بعضهم: لم أر قبله ولا بعده مثله، فذلك السبب كان اختلافهم في وصف خلقته له.

وال هنا تم هذا الشرح المبارك إن شاء الله تعالى، وقد رأينا أن نختمه بحديث جامع في صفاته وشأنه ﷺ فنقول:

أنا أنا سعيد بن أحمد الفراء الدمشقي، أنا علاء الدين بن محمد بن عمر الجبيلي، أنا أبي أنا محمد بن عبد الرحمن الكزبري، أنا أبي أنا أبو المواهب الحنبلي أنا أبي أنا الشمس محمد بن عبد الله الأنصاري، أنا محمد بن خليل الشيكلي أنا أبو الفضل الحافظ، أنا أبو اسحق التنوخي: أنا محمد بن جابر بن محمد الوالد آشيء أظهرنا أبو المواهب ربيع ابن أبي هاجر يحيى بن عبد الرحمن بن ربيع أنا الحسن بن علي الفافقي (ح) وقال التنوخي: أنا يحيى بن محمد بن سعد كتابة، أنا أبو جعفر أحمد بن علي بن حكيم (ح) وأنا أنا محمد بن إبراهيم السلي أنا أبي أنا ثعلب أنا الشهاب الملوحي. أنا عبد الله بن سالم البصري، أنا محمد الباهلي، أنا سالم بن محمد، أنا النجم التيطلي أنا القاضي زكريا الأنصاري، أنا الشمس محمد بن علي الفافقي، أنا السراج عمر بن علي بن الملقن الأنصاري، أظهرنا أبو الفتح يوسف بن محمد الدلاصي، أنا القاضي أبو الحسن يحيى بن أحمد بن محمد بن تميمث التولسي. أنا أبو الحسن يحيى ابن محمد بن علي الأنصاري المعروف بابن الصالح، قال هو والفافقي وأبو جعفر ابن حكيم: أظهرنا مهاف بن موسى الحافظ قال: حدثنا القاضي أبو علي الحسين ابن

محمد الحافظ بقراحتي عليه، حدثنا الإمام أبو القاسم عبد الله بن طاهر التميمي فيما قرأت عليه: أخبركم الفقيه الأنهب أبو بكر محمد ابن عبد الله ابن الحسن النيسابوري والشيخ الفقيه أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن الحسن المحدثي والقاضي أبو علي الحسن بن علي بن جعفر الوخشي قالوا: حدثنا أبو القاسم علي بن أحمد بن محمد بن الحسن الخزازي، أخبرنا أبو سعيد الهمثم بن كليب الثاني، أخبرنا أبو موسى محمد بن عيسى بن سورة الحافظ قال: حدثنا سفیان بن وكيع، ثنا جميع - بالتصانيف - بن عمر بن عبد الرحمن العجلي أصلاً من كتابة، قال: حدثني رجل من بن تميم من ولد أبي هالة زوج خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها يكنى أبا عبد الله عن أبيه عن أبي هالة عن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: سألت خالاً جدياً عن أبي هالة (رح) قال القاضي أبو علي: وقرأت علي الشيخ أبي طاهر أحمد بن الحسن بن أحمد ابن طائفة الكرجي الباقلائي، وأجاز لنا الشيخ الأجل أبو الفضل أحمد بن الحسن بن خيرو، قال: حدثنا أبو علي الحسن بن إبراهيم بن أحمد بن الحسن بن محمد بن شاذان بن حرب بن مهران الفارسي قراءة عليه طائفة: أخبرنا أبو محمد الحسن بن محمد بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبد الله بن الحسين بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب المعروف بابن أخي طاهر العلوي، قال حدثنا إسماعيل ابن محمد بن اسحق بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، قال: حدثني علي بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عن أخيه موسى بن جعفر عن جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين، قال: الحسن بن علي - واللفظ لهذا السند -: سألت علي بن أبي هالة عن حلية رسول الله ﷺ وكان رسالاً وأنا أزوجوا أن يصف لي منها شيئاً أتعلق به قال: ((كان رسول الله ﷺ طويلاً مقطعاً، مثلاً وجهه ثلاثون الفرس ليلة البدر، أطول من المربع، وأقصر من المثلث، عظيم الهامة، رجل الشعر، وإن اتلقت عقيقته فرق، ولا فلاة، يجاوز شعره شحمة أذنيه إذا هو ولوه، أزهر اللون، واسع الجبين، أزج الحواجب سوايح من فخر قرن، بينهما عرق يدور الغضب، ألقى للمرءون له نور يعلوه، ويحسبه من لم يتأمله أحم، كث اللحية، أدهج، سهل الطبع، ضليح الثم، أنجب، ضليح الأسنان، دقيق المسربة كأن علقه جيد بمية في صف المفضة، مصفد الخلق، بابتنا مقاسكاً سواء البطن والصدر، متج الصدر بنهد ما بين المنكبين ضخم الكراديس، أنور المتجرد، موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجري كالخط عاري اللثمين ما سوى ذلك، أشعر الفراعين والنكبين، وأعلى الصدر طويل الزندين، رطب الراحلة، شثن الكفين والغنمين، مثل الأطراف، لو قال: مائن الأطراف، ومائت الأطراف، ضبط العصب.

خدمان الأخدسين، مسيح القسمين بنوعيهما الماء، إذا زال، زال ثلثهما، ويخطو تكفوا، ويمشي هوناً، نزع الشية، إذا مشى كأنما ينحط من صيب، وإذا التفت التفت جميعاً، طافض الطرف، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء جل نظره الملاحظة، يسوق أصحابه، ويبدأ من لقبه بالسلام، قلت: صف لي منطقه، قال: كان رسول الله ﷺ متواضع الأحران، دائم الفكرة، ليست له راحة، ولا يتكلم في غير حاجة، طويل السكوت، يقتنع الكلام ويختمه بأشغاله ويتكلم بجوامع الكلم، فضلاً لا أصول فيه ولا تقصير، دماً ليس بالجافي، ولا الهين، يحظم النعمة وإن دقت، ولا يذم شيئاً، لم يكن يذم ذواقاً، ولا يمدحه، ولا يلام لنفسه إذا تعرض لثقل بشيء حتى ينتصر له، ولا يغضب لنفسه، ولا ينتصر لها، إذا أشار، أشار بكلمة كلها، وإذا تعجب قلبها، وإذا تحدث اتصل بها فصرح بإيهامه اليمنى راحتته الهري. وإذا غضب أعرض وأشاح، وإذا فرح فحس طوفه، جل ضحكه التبس، ويكثر عن مثل حب الثمام))

قال الحسن: فكتبتها عن الحسن بن علي زماناً، ثم جعلته، فوجدته قد سبقني إليه، فسأل أباه عن مدخل رسول الله ﷺ ومخرجه ومجلسه وسكوته؟ فلم يدع منه شيئاً.

قال الحسن: سألت أبي عن دخول رسول الله ﷺ فقال: كان دخوله لنفسه بأذوناً له في ذلك، فكان إذا أوى إلى منزله جزءاً ودخله ثلاثة أجزاء، جزءاً لله، وجزءاً لأهله، وجزءاً لنفسه. ثم جزء جزءه بينه وبين الناس، فيرد ذلك على العامة بالخاصة ولا يدخر عنهم شيئاً فكان من سيرته في جزء الأمة إيتار أهل الليل بإذنه وقبته على قدر فضلهم في الدين، منهم نور الحاجة، ومنهم نور الحاجتين، ومنهم نور الحوائج: فيتناقل بهم ويشغلهم فيما يصلحهم والأمة من مسأله عنهم وأخبارهم الذي ينبغي لهم ويقول ليهلج الشاهد منكم الغائب، وأبلغوني حاجة من لا يستطيع إبلاغني حاجته، فإنه من أبلغ سلطاناً حاجة من لا يستطيع إبلاغها، ثبت الله قدميه على الصراط يوم القيامة، لا يذكر عنده إلا ذلك، ولا يقبل من أحد غيره.

قال في حديث سفيان بن وكيع: يدخلون رواداً، ولا يتفرقون إلا عن نواق، ويخرجون أدلة يعني قتها، قلت: فأطهرني عن مخرجه كيف كان يصنع فيه؟ قال: كان رسول الله ﷺ يخزن لسانه إلا مما عنهم ويؤلفهم ولا يفرقهم، يكرم كرم كل قوم، ويؤلفه عليهم، ويحذر الناس ويحترس منهم من غير أن يطوى عن أحد بشره وحلله ويتفقد أصحابه. ويسأل الناس عما في الناس، ويحسن الحسن ويصربه، ويقبح القبيح ويوهنه، مشدداً الأمر

غير مختلف لا يغلل مخافة أن يغفلوا أو يملوا، لكل حال عنده هناك، لا يتصر عن الحق ولا يجاوزه إلى غيره، الذين يلوّنه من الناس خيارهم وأفضلهم عنده، أهمهم نصيحة، وأصطلمهم عنده منزلة، أحسنهم مواساة وموازرة.

فسأله عن مجلسه عما كان يصنع فيه؟ فقال: كان رسول الله ﷺ لا يجلس ولا يقوم إلا على ذكر، ولا يوطن الأماكن، وينتهي عن إبطائها وإذا انتهى إلى قوم، جلس حيث ينتهي به المجلس وبأمر بذلك ويعطى كل جلسائه نصيبه، حتى لا يحسب جلسوه أن أحد أكرم عليه منه، ومن جالسه أو قاربه لحاجة، صابره حتى يكون هو المنصرف عنه، من سأله حاجة لم يرد إلا بها، أو يمسور من القول، وقد وسع الناس بسطه وخلقه لخاص بهم أبداً وصاروا عنده في الحق متقاربين متفاهلين فيه بالتقوى، وفي الرواية الأخرى: صاروا عنده في الحق سواء.

مجلسه مجلس حلم وحيلة، وصبر وأمانة، لا ترفع فيه الأصوات ولا تزهى فيه الحورم، ولا تشفى فلتانه. وهذه الكلمة من غير الروايتين - يتعاطفون بالتقوى، متواضعين بوقرون فيه الكبير، ويرحمون الصغير، ويرفقون بالحاجة، ويرحمون الغريب، فسأله عن سيرته ﷺ في جلسائه؟ فقال: كان رسول الله ﷺ دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب، ولا فحاش، ولا عياب، ولا مناج، يتفاضل عما لا يشتهي، ولا يلبس منه، وقد ترك نفسه من ثلاث: (الرياء والإكثار وما لا يعنيه) وترك الناس من ثلاث: (كان لا يتم أحد ولا يعيره ولا يطلب عورته، ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه). إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير، وإذا سكت تكلموا لا يتنازعون منه الحديث، من تكلم عنده انتصروا له حتى يفرغ حديثهم حديث أولهم. يضحك ما يضحكون منه، ويتمجب ما يتمجبون منه، ويصبر للغريب على الجفوة في المنطق، ويقول: إذا رأيت صاحب الحاجة يطلبها فأرقدوه، ولا يطلب الثناء إلا من مكلف، ولا يقطع على أحد حديثه حتى يتجاوز. فيقطع به بانتهاه أو قيام. هنا انتهى حديث سليمان بن وكيع.

وزاد الآخر: قلت: كيف كان مكنوته ﷺ؟ قال: كان مكنوته على أربع: (الحلم والحذر والتقدير والتفكير)، فأما تفكيره (ففي تسوية النظر والاستماع بين الناس) وأما تفكيره (ففيما يلقى ولا يقضى وجمع له الحلم في الصبر فكان لا يقطعه شيء يستفزه) وجمع له في الحذر أربع: (أخذة بالحسن لينتجى به، وتركه للبيح لينتهي عنه، واجتهاد الرأي بما يصلح أمته، والقيام لهم بما جمع لهم أمر الغنى والآخر).

وهكذا روينا في الشفاء من طريق الترمذى في الشرائع، والحافظ أبى هلى ابن
ساذان المتوفى ببغداد سنة ٤٢٦ هـ وأخرجه أيضاً ابن سعد في الطبقات والطبرانى في
الكبير وأبو نعيم والبيهقى كلاهما في الدلائل، ومعانيه واردة في جملة أحاديث في
المصاحح والسنن وغيرها وشرحه مستوفى في روح الشرائع وشرح الشفاء وغيرها .

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلامه على سيدنا محمد سيد المرسلين، خاتم
النبيين، وعلى آله الطاهرين وخيار صحابه من الأتصار والمهاجرين، ولا حول ولا قوة إلا
بالله العلى العظيم .

تم بحمد الله وتوفيقه كتاب

(أفضل مقول في مناقب أفضل رسول ﷺ)

الناشر

مكتبة القاهرة

على يوسف سليمان وأولاده

١٢ ش الصناديق بالأزهر ت : ٥٩٠٥٩٠٩

١١ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر ت : ٥١٤٧٥٨٠

ص . ب ٩٤٦ العتبة - القاهرة - جمهورية مصر العربية